

مصطفى محمود

الشيطان يحكم

دار العودة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة
لدار العودة

١٩٨٦

كورنيش المزرعة - بناية ريفيرا سنتر

تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥

تلكس AWDA 23682 LE

ص.ب ١٤٦٢٨٤

هل يسير العالم إلى دعاية

الهر يواخيم دريسن يهودي الماني ٣٦ سنة صاحب مجلة « سانكت باولي تسایتونج » في هامبورج انشأ حزبا سياسيا جديدا اسماء « حزب الجنس » وشعار هذا الحزب هو المطالبة بالحرية الجنسية للجميع .. وتدریس العملية الجنسية للاولاد والبنات عمليا وعلى الطبيعة من سن التاسعة وایاحة الزواج المشاعي (وهو أن يتزوج جماعة من الرجال بجماعة من النساء ويتبادلون الزوجات فيما بينهم) .. وایاحة زواج الرجل الشاذ بالرجل الشاذ وزواج المرأة الشاذة بالمرأة الشاذة .. والنظر الى الخيانة الزوجية على انها الامر العادي والطبيعي والمألوف .. ودستور الحزب يهدف الى جعل حبوب منع الحمل والاجهاض حقوقا مشروعة توضع في بطاقة التموين وتوزع مع السكر والزيت والشاي وان تكون المخدرات المثيرة للذة شأنها شأن الخبز اليومي .. والحل السياسي

لازمة العالم في نظر الحزب هي « الحب بدل الحرب » ..
فتزحف الشعوب بعضها على بعض ليلتقي رجال شعب
بنساء الآخر في مؤتمرات للذة بدلا من زحف الجيوش
للحرب والقتل .

ومجلة الهر يواخيم دريسن تبيع مليون نسخة .
وهناك ثلاثة آلاف الماني والمانية يدفع كل واحد منهم
عشرة ماركات اشتراكا شهريا ورسم ولاء وانضمام لهذا
الحزب .

وسكرتيرة الهر يواخيم فتاة جميلة تجلس في المكتب
عارية وتستقبل الزوار عارية على الدوام .

ومنذ أيام حينما أقيمت على المجلة قضية دعارة ..
ذهب الهر يواخيم الى المحكمة محمولا على أكتاف ست
فتيات عاريات الصدور .

واذا تركنا الهر يواخيم وذهبنا الى مهرجان كان
السينمائي الاخير فانا سوف نجد الاخبار التي خرجت
من المهرجان تقول ان هناك موجة من الافلام الجنسية
الاباحية تغرق كل شيء .

في احد الافلام التي عرضت خارج المسابقة يرقص
الممثلون عراة ويقومون بحركات جنسية خليعة ثم نرى
البطلة ترقد عارية في مغارة وامامها على مكان يشبه المذبح

يقتل خنزير ومنتزع احشاؤه لتلقى على جسدها ثم نرى
الممثلين يتجمعون حول المذبح ويبولون •

وفي فيلم آخر نرى امرأة تصعد الى المترو لتأخذ
مكانها في مواجهة رجل •• ثم نراها تحقق في الرجل
وتسرح بخيالها فتتصور نفسها في احضانه وتمر ربع
ساعة نرى خيالها يصور لها نفسها عارية في جميع
الامواضع الممكنة •• ثم يقف المترو في محطة فتتزل المرأة
ويتبعها الرجل وقد لاحظ انها كانت طول الوقت تحقق
فيه •• يغازلها •• تنظر اليه بقسوة •• ثم تفاجأ بأنها تقف
وتشكوه لرجل البوليس فيقبض عليه •

ثم عشرات الافلام تصور اللواط والسحاق ••
وتعرض قصص نساء يمارسن الجنس مع حيوانات •

وفي فيلم « الغاز الجسد » نجد عملاق السينما
اليوغوسلافية « ماكافيچيف » يعرض لنا فيلما سياسيا
يقول فيه ان الكبت الجنسي هو المسئول عن الفاشية
والنازية وعن القهر السياسي والعنف وعن الشخصيات
السادية امثال هتلر •• وان حياة بلا ممنوعات هي الحل
الوحيد لتحقيق السلام •

وبرغم هذه الموجه التجارية من التسول الجنسي ••
فقد لوحظ ان مبيعات هذا اللون من الافلام الالباحية قد

انخفض بمقدار ٤٥٪ عما سجله الانتاج نفسه في العام السابق .

واتجاه السينما الى العري والجنس ظاهرة ملحوظة ومطرده منذ سنوات .

والمنتجون يتحايلون في اخفاء هذا الطابع الجنسي داخل غلالة من الافكار والقيم .. فنجد فيلما مثل « هيروشيا حبيبي » يدعو الى السلام ويهاجم الحرب . وكل الفيلم يدور على شكل حوار بين امرأة عارية ورجل عار في الفراش .

والمتفرج له الحق ان يسأل .

أما كان يمكن ان ندعو الى السلام ونهاجم الحروب والقنابل الذرية كما نشاء دون ان تكون وسيلتنا الى ذلك عملية جنسية بين رجل وامرأة في الفراش ؟

ألا توجد وسيلة للسلام غير الدعارة ؟

أم ان اغراق العالم في الدعارة والانحلال هو امر مقصود .. وان شركات الانتاج (وأغلبها في قبضة اليهود) قد عقدت فيما بينها حلفا سريا بالعمل على افساد الشباب وهدمه وتضليله وانها اخذت على عاتقها تنفيذ هذا البند المعروف في بروتوكولات آل صهيون بافساد العالم بالمخدرات والجنس والجريمة والمال تمهيدا للاستيلاء عليه .

ان الامر خطير ويستحق منا وقفة تأمل .. فليس
طبيعيا ان تدور كل الافلام حول الجنس والجريمة
والدولار والمخدرات والهيبيز .. فمعنى محاصرة شبابنا
بهذا النوع من المؤثرات على الدوام .. أن يقعوا هم في
النهاية في شرك هذه المؤثرات •

واتفاق جميع الافلام على الضرب على هذه الاوتار
ليس مصادفة وانما هي علامة على تيار مقصود •

واذا كانت مبيعات هذا اللون من الافلام قد انخفضت
داخل اوروبا بمقدار ٤٥٪ عن السنة الماضية فان معنى
هذا ان هناك وعيا مضادا لهذا التيار • وان هناك حالة
اتباء وغثيان ونفور من هذا اللون حتى داخل اوروبا
نفسها وحتى من الشاري الذي يحكمه سوق العرض
والطلب • فلا اقل من ان ينمو عندنا ايضا هذا الوعي وان
نتنبه لهذه السموم الوافدة علينا .. ونحن اكثر استهدافا
لهذه السموم من غيرنا •

ومقص الرقابة لا يكفي •

انما علينا ان نحول دون دخول هذه الالوان من
الافلام أصلا مهما حملت من مسوغات ظاهرية ومهما لفت
بضاعتها السامة في سيلوفان من القيم البراقة والمثالات
الكاذبة •

اما الزعم الذي يدعيه السينمائي اليوغوسلافي
« ماكافيچيف » بانه لن يكون هناك سلام في العالم الا
عن طريق الاباحية الجنسية فرد عليه بان الحيوانات
تتصارع بالمخالب والناث مع انها تعيش في اباحية جنسية
مطلقة .. ولو انها كانت تمتلك وسائل الحرب الحديثة
لاستخدمتها بدلا من المخالب والناث .

والسلام لا يصل اليه الا انسان استطاع ان يتحكم
في نفسه ويخضع نزواته .. هذا الانسان هو وحده القادر
على ان يتنازل لغيره طوعا واختيارا وان يعطي ويمنح
ويجود من ذات نفسه طوعا واختيارا ويحقق السلام
بمعناه الايجابي .. السلام بمعنى المحبة والعطاء .

اما انسان لا يستطيع ان يقاوم نزوة ولا يستطيع ان
يكبح رغبة جنسية عارضة ويطلب منا اولا بأول ان نقضي
له نزواته .. هذا الانسان هو الذي يسرق ويقتل ..
فما حوافز السرقة والقتل الا نزوات مثلها مثل نزوة الجنس،
وتراث القيم والاخلاق لم يقم عبثا .

انه تراكم خبرات وتجارب عبر التاريخ .

والذي دعانا الى ضبط شهواتنا .. ليس القسيس
ولا الواعظ وانما تراكم الخبرات والتجارب عبر الالف
السنين .. ملايين الاخطاء والمحن التي مرت بها الانسانية

واستولدت منها الحكمة والعبرة والضمير واقامت صرح
الحضارة •

وليس الدين وحده هو الذي يدعونا الى الاخلاق
وضبط النفس والتحكم في الشهوات •• وانما حضارتنا
وأعرافنا وتراثنا •• ثم خبرة حياتنا الخاصة ومعاناتنا
الذاتية وتجاربنا واقتناعنا الشخصي •

كل هذا الكسب الذي كسبناه بالعرق والدم لا
يصح ان تتركه لفنان ساذج مثل ماكافيحييف ليمحوه لنا •
وعلينا ان نفتح العيون والعقول جيدا •

فما اكثر الذين يريدون قتلنا باسم الفكر والفكر •
وما اكثر ما نصفق لأفلام هي الدعارة بعينها •

وليس كل ما نقرأ من كتب ونرى من افلام هي
محاولات بريئة لتسليتنا •

وهناك وراء الكواليس عشرات من امثال الهر
يواخيم دريسن •• والبروفيسور ماكافيحييف •

الشيء التافه

ما يجري في الكون من احداث مرتبط ببعضه في سياق دقيق من الاسباب والمسببات كحلقات سلسلة ، لا يهم ان كان بعض هذه الحلقات صغيرا وبعضها كبيرا ، فلا فرق بين انكسار حلقة صغيرة او انكسار حلقة كبيرة ، فالنتيجة واحدة في الحالين هي تحطم السلسلة وانقراط عقدها •

نحن نقول عن واحد انه اتفه من ذبابة •
هل فكرت ماذا يمكن ان تصنع ذبابة !!؟
ان ذبابة واحدة تافهة يمكن ان تحمل على أرجلها الدفتيريا والسل والدوستتاريا وشلل الاطفال والكوليرا ، ويمكنها ان تببدا امة وتقضي جيلا وتقلب دفة النصر في معركة •• تفعل كل هذا وهي ذبابة •

ان ميكروبا لا يرى بالعين قتل في سنة ١٩١٩ اكثر من عشرين مليون ضحية •

وراهب منقطع في دير تمر به ونقول ما اتفه هذا
الرجل .. ماذا يفعل في هذه الدنيا .. لماذا لا يخلع
ملابس الرهبنة وينزل الى خضم الحياة ويعمل ويؤثر في
الاحداث .. مثل هذا الراهب ليس نافها فهو يمكن ان
يكون مندل الذي اكتشف قوانين الوراثة وهو يلصق
ازهار حديفته ويتأمل في نسلها .

وهذا الكيميائي الذي يترك كل شيء ويكتب بحثا
في العفن لا سهمه بالجنون لانه لم يبحث لك كما تريد
في مبيدات فواضع البلهارسيا او دودة القطن .. فالعفن
ليس تبيئا نافها .. الم يخرج لنا البنسلين ؟!

وما اتفه الذرة .. اليس كذلك .

انها لا ترى باكبر ميكروسكوب .

وهي ليست سوى فرض من فروض الكيمياء .

ومع ذلك فان تلك الذرة المفترضة هي التي انتهت
الحرب العالمية الثانية وجعلت اليابان تركع على قدميها .

وهي التي سوف تقود أول سفينة الى المريخ ..

والملازم ديفول فعل ما لم يستطع ان يفعله الماريشال

بيتان ..

وام يتهوفن لا احد يعرفها وهي في عصرها كانت

امراة من ملايين لا تقدم ولا تؤخر .

ولكن الم تنجب لنا هذه الام يتهوفن ولولاها لما جاء
الى الوجود ..

انها سلسلة من الحلقات كما قلت ..

سلسلة مترابطة .. لا يهم ابدا ان يكون بعض هذه
الحلقات صغيرا وبعضها كبيرا .. فبدون أي من تلك
الحلقات لا يكون للسلسلة وجود ..

لا يوجد شيء تافه وشيء عظيم ..

والذي يقول لك انت تافه لانك لم تفعل في نظره
شيئا ذا بال .. انما يدل بكلامه على جهله .. فمن يدري
ماذا تفعل غدا .. ومن يدري ماذا يترتب على مجرد
وقوفك بدون فعل .. ان عدم الفعل يكون في دورة
الاحداث اثره مثل الفعل .. والسكوت يكون احيانا
اخطر من الكلام .

الحضارة المادية عظيمة .. الم تصنع لنا القطار
والطيارة والسيارة والراديو والتلفون والتلفزيون والمدفع
والقنبلة .

والحضارة الروحية تخاريف .. هكذا يقول
البعض .. فما هو دور يوجا منقطع للتأمل في كهف من
كهوف التبيت .

ولكن من يدري ؟

لو كنت حكيما لقلت من يدري .. فقد تحطم هذه الحضارة المادية نفسها بنفسها وقد ترسل العالم بقبلة من قنابلها الى قاع المحيط فتصبح هي ذاتها خرافة مثل خرافة « الاتلاتيس » القارة التي غرقت بمن عليها في قاع المحيط ... ولا يبقى للعالم الا سلالة ذلك الیوجا تبدأ من عنده العلوم والمعارف والمدنية من جديد .

الم تبدأ بشائر هذه المهزلة بالفعل .. فما هي امريكا تدمر الآخرين وتدمر نفسها ...

ساذج العقل من يقول لك انت تافه .. فكل شيء في هذه الدنيا خطره مهما كان صغيرا ضئيلا .. ولقد تغير انت الدنيا .. وقد تفتح عينيك غدا فتكتشف شيئا .. وقد تكون وانت الجندي اليوم قائد المعركة غدا .

لا تستخف بدبابنة تقف على طعامك .. فهؤلاء الرجال كالثيران يدوخون العالم وقد تصرعهم دبابنة . والاسكندر المقدوني قتلته بعوضة .

انها ليست نكتة ولكنه التاريخ فالاسكندر الذي خرج من مقدونيا فاتحا وهب على العالم القديم كالاعصار لم يعد ابدا الى بلاده فقد مات بالمalaria اثناء عودته من الهند بلذعة بعوضة .. ولا احد يدري اين دفن .

وقد تعبت بقدمك تحت شجرة غدا فتكتشف قبر

الاسكندر وتصبح اغنى رجل واشهر رجل في الدنيا وتصبح
حديث الصحف لعدة سنوات .

فقط لا تقل على احد انه تافه .. احترم كل شيء
مهما صغر شأنه .. الطفل .. والحشرة .. وزبال الطريق
وجرسون المقهى .. وبهلوان السيرك .. ومن لا حيلة له
ولا صولجان في يده .. فالله وحده يعلم من في الغد
يكون في يده الصولجان .. اذا فعلت هذا فانك سوف
تخطو اول خطوة لتكون رجلا حكيما .

الجنون العام

ليس هناك اغرب من عادة شرب الدخان •
ان يصرف رجل عاقل نقوده في احراق بعض المخلقات
واستنشاق دخانها اللاسع الخائق الكريه •

يدخن ويسعل وييصق •• ثم يعود فيبتلع الدخان
ويسعل وييصق •• ويقول بصوت اجش مشروخ انه
يشكو من برد مزمن وانه لهذا السبب قد استبدل الدخان
الانجليزي بالدخان التركي •

ثم ينفث حلقات الدخان وهو يحملق في الفراغ
وفمه مفتوح وقد وضع ساقا على ساق وسبح بخياله في
حالة انعدام وزن يفكر في لا شيء •

مشهد كاريكاتوري من مسرح لا معقول •

قصة بلهاء من خمس دقائق تبدأ بشطة عود كبريت
ثم حركات استعراضية من رجل عجيب يأخذ اوضاعا

بهلوانية في كرسيه ويسترخي ويسرح ويشفط وينفخ
ويسعل ويصق •

ونفهم من القصة انه يدفع من قوته وقوت عياله في
سبيل هذا الدخان •

ثم يعود فيدفع مرة اخرى ليعالج نفسه من هذا
السعال والدخان •

ثم يعود فيدفع مرة ثالثة لينظف اسنانه من أوساخ
هذا الدخان •

ثم يروي لنا انه قرأ في المجلة خبرا عن تسبب التدخين
في السرطان وفي نفس الصفحة قرأ اعلانات عن فوائد
التدخين •

فاذا سألته وماذا ستفعل ؟

قال لك سأستبدل لفافة التبغ بالسيجار او السيجار
بالشيشة او الشيشة بالجوزة •

وتراه يصوم عن الاكل ولا يستطيع ان يصوم عن
السيجارة •

وتراه يستمر في هذا الاتجار الصغير كل يوم
فيلقي بنقوده وصحته في البحر ويقف يتفرج على الاثنين
يفرقان وهو يسعل ويصق ويلهث •

- رجل مخبول تماما •
- ولكن هذا المخبول هو كل الناس •
- كل الناس ينتحرون لسبب غير مفهوم •
- العملة الصعبة التي تنفق في استيراد التبغ والسيجار
- والمعسل في العالم كافية لحل مشاكل المجاعة والفقر
- والجهل والمرض •
- والانسان المجنون ابتكر وسائل انتحار اخرى ••
- غير التبغ •• مثل الافيون والحشيش والكوكايين
- والهيريون وعقار L. S. D. والخمور بأنواعها •
- ولم يكتف بهذا فاخترع اسلحة القتل السريع الاكيد
- مثل الرصاصة والقنبلة والغاز السام •
- ثم عاد فابتكر الاعذار والمبررات الجاهزة للقتل ••
- مثل الصراع الطبقي •• وتغيير التاريخ •• وانقاذ الحرية ••
- والحرية ذاتها كانت دائما هي المخدر الاكبر ••
- المدخن يقول لك •• انا ادخن لاني حر ••
- ومدمن المخدرات •• يقول لك انا حر ••
- والذي يطلق اول رصاصة يطلقها ليكون حرا ••
- ودائما الحرية هي اول ما تجهز عليه هذه الاسلحة ••
- ودائما الحرية هي الضحية ••
- والانسان القاتل والمقتول هما الضحية ••
- والجنون العام هو الحقيقة ••
- وهو طابع هذا الانسان العاقل اللامعقول اللغز •

افيون هذا الزمان

تتبارى اجهزة التلفزيون والاذاعة والسينما وصفحات المجلات والجرائد على شيء واحد خطير هو سرقة الانسان من نفسه .. شد عينيه وأذنيه وأعصابه وأحشائه ليجلس متسمرًا كالمشدود امام التلفزيون أو الراديو او السينما وقد تخدرت اعصابه نساما كأنه أخذ بنج كلي وراح يسبح بعينه مع المسلسله ويكد ذهنه متسائلا من القاتل ومن الهارب .. وبين قاهر الجواسيس وريتشارد كامبل والافيشات العارية في المجلات والعناوين الصارخة في الجرائد ينتهي اليوم والليلة ويعود الواحد الى فراشه وهو في حالة خواء وفراغ وتوتر داخلي مجهول السبب وحزن دفين كأنه لم يعيش ابدا ذلك اليوم .

والحقيقة انه لم يعيش بالفعل وان حق الحياة سلب منه وانه سلب من نفسه واخرج عنوة وألقي به في مغامرات عجيبة مضحكة وتساؤلات لا تهمه على الاطلاق .. من

الذي قتل شهيرة هانم ولماذا تخون كلوديا كاردينالي زوجها
في رواية .. « الذئب في فراشي » .. واين الكنز في
مسلسلة عبيد الذهب .. واين الحقيقة في رواية ارحمني
يا حبيبي *

ويسر اليوم تلو اليوم .. وتظل هذه الاجهزة تقوم
بما يشبه العادة السرية للمتخرجين وتغرقهم في نشوات
مفعلة الى درجة التعب ثم تلقي بهم الى الفراش آخر
الليل منهوكي الاحاسيس لا يدري الواحد منهم ماذا به
بالضبط .. لماذا يشعر بانه مجوف تماما .. وانه لا يعيش
ابدا .. وانه لا يقول ما يريد ان يقوله ولا يسمع ما يريد
ان يسمعه .. وانما هو يربط في ارجوحة تظل تدور به
دورانا محموما حتى يغمر عليه تماما وينسى ما كان يفكر
فيه وما كان يريد ان يقوله وما كان يريد ان يسمعه وما
كان يملأ منه القلب والعقل .. ويتحول الى حيوان اعجم
مربوط العقل والاحساس الى هذه الاجهزة الغريبة التي
تقتل له حياة كلها كذب في كذب *

وهذه الظاهرة ظاهرة عالمية .. بل هي من سمات
هذا العصر المادي الميكانيكي الذي تحولت فيه اجهزة
الاعلام الى أدوات للقتل الجماعي ..

وهو نوع من القتل الجميل الرائع .. تخنق فيه
العقول بحبال من حرير وتخنق الخيالات بالعطور

الفواحة .. وتخاط فيه الشفاه بجداول من شعر بريجيت باردو وأرسولا اندرس *

وكلما زادت مقاومة المتفرج لهذا الافيون كلما زاد المخرجون من المساحة العارية المسموح بها من صدر الممثلة ومن ساقها وكلما سكبوا كمية من الدم اكثر في رواياتهم وكمية من البترول المشتعل اكثر على اعصاب الناس *

وحينما تنفجر الاعصاب في ظواهر متشابهة مثل ظاهرة الخنافس والهبز ورقصات الجرك المجنونة وأدب الساخطين والغاضبين واللاعنين فهي دائما تتأرجح ذلك البخار المضغوط في جواهر الشباب التي قضي عليها بان نعيش أسيرة عنكبوت الاعلام والاختبوط ذي الالف اسم .. الاذاعة والسينما والجرائد .. ذلك السجن ذي الفضبان الجميلة من الاذرع العارية في المجلات والروايات لتعيش معزولة عن معركة المصير وعن الادلاء برأي فسي مأساة الحياة والموت التي تجري على مسرح العالم كل يوم *

وحينما يدور الكلام عن مخدر ال.ل.س.د. والماريجوانا والحشيش والهرويين والكوكايين .. والعصابات التي تروجه .. فانهم ينسون دائما مخدرات اكثر انتشارا وأخطر أثرا *

مخدرات تدخل كل بيت من تحت عقب الباب وتقتحم على كل واحد غرفة نومه وتزاحم افطار الصباح الى معدته

وفنجان الشاي الى شفتيه .. تلك هي وسائل الاعلام التي تكاتفت فيما بينها وكأنما بتعاقد غير مكتوب على أن تقتل الناس بقتل وقتهم وتميتهم بالضحك والاثارة والنكتة البذيئة وتلك الكلمة الغامضة اللذيذة التي اسمها التسلية.

وتحت شعار قتل الوقت يقتل الانسان ويراق دم اللحظات ويسفك العمر .. فما العمر في النهاية الا وقت محدود .. وما الانسان الا فسحة زمنية عابرة اذا قتلت لم يبق من الانسان اي شيء .

وانها مسئولية كل مفكر وكاتب ان يخرج على الخط ويتمرد على هذا الاتفاق غير المكتوب .. بقتل الوقت .. في محاولة شريفة لاهياء وقت الناس بتثقيفهم وتعليمهم والبحث عن الحق لا عن التسلية واشراك الناس في مأساة مصيرهم واعادة كل واحد الى نفسه وقد ازداد ثراء ووعيا لا سلبه من نفسه وسرقته من حياته .. ورفع شعارات الحرية لتفصح الروح الانسانية عن مكنونها .

على وسائل الاعلام ان تتحول من افيون الى منبه يفتح الغيون والاحاسيس على الحقيقة ويدعو كل قارئ الى وليمة الرأي ويدعو كل عقل معطل الى مائدة الفكر فتكون كرحلة تحشد الحماس عند كل محطة تقف عندها لا كخيمة للغاز المسيل للدموع مضروبة على الناس او قنابل دخان تطلق للتعمية .

ان حضارة الانسان وتاريخه ومستقبله رهن كلمة
صدق وصحيفة صدق وشعار صدق .. فبالحق نعيش
وليس بالخبز وحده ابدا .

• واذا كان السؤال المطروح الان .

• ما هي صحافة المعركة ؟

• وكيف تساهم صحافتنا في المعركة ؟

• فهأنذا اقول لكم الجواب ..

• ان نقول الحق .

• وان نقول الجدل .

• وان نقول المفيد والنافع والصحيح .

• وان نحبي وقت القارئ لا ان نقتل وقته .

الوقوف في الفخ

كل فتاة تحب ان يقال انها حلوة وساحرة وفاتنة
ومملكة جمال والسؤال هو :

ما الجمال !!؟

هل الجمال هو البودرة والاحمر والكريم والروج
والكحل ؟

هل هو لون الشعر ... وطول الشعر ... وشكل
التسريحة ... ومقاس الصدر ... ومحيط الوسط ...
وخرطة الرجلين .. واستدارة الردفين ؟

هل الجمال فستان وباروكة وبوستيش وشنطة
وجزمة ونظارة ؟

المرأة يخيّل لها ذلك ..

كل تفكير المرأة في شكلها ... في مقاساتها
الخارجية ... في اللون والنقشة التي ترسمها حول العين
والحاجب والشفة ..

يُخيل لها ان الجمال يمكن رسمه على الوجه ويمكن
تفصيله بالتحزيق والتقميط والمكواه والمشط .

وتنسى ان كل هذا طلاء ودهان ... وانه سوف
يذوب ساعة ان تضع رأسها تحت الحنفية .. وسوف
تتحول الى وجه بلياتشو بعد اول موجة من العرق
وانها بعد مشوار في الحر سوف تتحول الى امرأة اخرى .
لان كل ما صنعتته كان ديكورا من الخارج ... كل ما فعلته
كان سلسلة متقنة من الاكاذيب ... وعملية رائعة من
التلفيق اشترك فيها العطار والصيدلي والخردواتي .
وهو تلفيق لا يمكن ان يكتب له الدوام ..

حتى الجسم ومقاساته كذبة كبيرة اخرى سرعان
ما تفتضح من اول حمل فيتحول الغزال الى حصان بلدية ،
وخصر المها الى خصر سيد قشطة .

والوجه الجميل والتقاطيع الدقيقة الحلوة هي نوع
من الجمال يفقد تأثيره مع التعود والمعاشرة .
التعود يفقد الشكل طرافته وجدته وحلاوته .

وهذا حكم الجمال الخارجي ... مصيره دائما الى
الزوال وفقدان الاثر .. الجمال الخارجي مجرد مصيدة
وجر رجل ... منحة سخية من الطبيعة للمرأة لتصطاد بها
رجلا ... نوع من خداع البصر ...

فإذا تم المراد ووقع الصيد السمين في الفخ وعفد
العهد ووقع المآدون وانتقلت العروسة المزخرفة المزوقة الى
العس الموعود ومضى شهر وشهران .. بدأ الديكور يفع
وبدأ الطلاء يسقط والدهان يتشقق وبدأت تظهر النفس
التي وراء الزواق والطلاء .

ساعتها يبدو الجمال الحقيقي اذا كان هناك جمال
حقيقي .

والجمال الحقيقي هو جمال الشخصية ... وحلاوة
السجايا ... وطهارة الروح .

النفس الفياضة بالرحمة والمودة والحنان والامومه ..
هي النفس الجميلة .

النفس العفيفة والعفة درجات ... عفة اللسان وعفة
البد وعفة القلب وعفة الخيال ... وكلها درجات جمال .
والخلق الطيب الحميد .

والطبع الصبور الحليم المتسامح .

والفطرة الصريحة البسيطة .

والروح الشفيفة الحساسة .

كل هذه ملامح الجمال الحقيقي .

اي قيمة لوجه جميل وطبع قاس خوان مراوغ خبيث .

واي قبسة لمقاسات الوسط والصدر ... والقلب

مشحون بالطمع والدناءة .

واي قيمة للشفاة المرجان واللسان يقطر بالسم
والقطران •

واي قيمة للساق الجميلة خرط المخرطة التي تمتد
لك بشلوت والذراع الفاتنة التي تمتد لك بقبقاب •

واي قيمة لباروكة لا يوجد تحتها عقل •
واي قيمة لنهد ناقر خصصته صاحبتة لارضاع
العشاق لا ارضاع الاطفال واردا ف تتزين للنزوات وفم
فاتن لا ينطق الا الكذب •

اذا اردت ان تحكم على جمال امرأة لا تنظر اليها
بعينيك وانما انظر اليها بعقلك لترى ماذا يختفي وراء
الديكور •

وحذار ان تنظر اليها بعاطفتك او غريزتك والا فانك
سوف تفقد عقلك من اول نظرة تم يخيل اليك انك امام
فينوس الخارجة من زبد البحر •

وفي ضباب الحواس وصخب الاثارة تستحيل الرؤية
وتتحول حقائق الحيوان الى جنات مغرمين وملامح القردة
الى تقاطيع الملائكة •

المرأة كتاب عليك ان تقرأه بعقلك اولا وتتصفحه
دون نظر الى غلافه •• قبل ان تحكم على مضمونه •
ذوق الناقد وليس ذوق العاشق هو الذي سوف
يدلك •

ولذلك تحرص المرأة بذكائها على ان تحوّلك الى
عاشق اولا حتى تفقد عقلك فلا ترى الحقيقة •
وأغلب الرجال لا يرون الحقيقة الا بعد فوات الاوان •
والذين يرون الحقيقة يتحولون الى فلاسفة فيعشقون
الحقيقة لذاتها وينسون المرأة ••• ويؤلفون الكتب في
دراسة الجمال وفلسفة الجمال وينسون حكاية المرأة الجميلة •
وحتى هذا الفيلسوف لا تعدم المرأة وسيلة للضحك
عليه فتقابلة كل يوم وتحت ابطها كتاب •
لقد وضعت الزوج المناسب للرجل المناسب •

احبوا انفسكم

ان من يقتل اخاه لا يكره اخاه ، وانما يكره نفسه ..
فاليد لا ترتفع لتقتل الا اذا كانت النفس من الداخل
يعتصرها التوتر .

القاتل لا يعلن الحرب على الاخرين الا اذا كانت
الحرب قد اعلنت داخل نفسه واشتد اوارها وثار غبارها
فأعمى العيون والابصار .

المجرم هو دائما انسان ينزف من الداخل .

اما من يعيش في سلام مع نفسه فهو يعيش دائما في
سلام مع الاخرين .. انه لا يستطيع ان يكره .. ولا يخطر
بذهنه ان يرفع سلاحا في وجه احد .. انه قد يطلق ضحكة
او يترنم بأغنية ، ولكنه ابدًا لا يفكر في ان يطلق رصاصة .
وانما تولد الكراهية للاخرين حينما تولد الكراهية
لنفس .

خصومتنا لانفسنا هي القنبلة التي تنفجر حولنا في كل مكان .

منذ اللحظة التي نختصم فيها مع نفوسنا لا نعود نرى حولنا الا القبح والدمامة ومبررات القتل والتأثر ، ونحن في الحقيقة نحاول ان نثار لانفسنا من انفسنا ...
وانما تبدأ الهدنة بين كل منا والحياة حينما يرتضي نفسه ويقبلها ويقبل قدره ومصيره ويبنى بذلك الجسور السليمة التي يعبر عليها الى جمال الحياة حوله ويراه ..
وطيبة الناس حوله ويحس بها .

انه يشعر ان الزهر يتسم لانه يرى ابتسامته الداخلية منعكسة عليه .. ويقول ان الدنيا حلوة والحقيقة ان نفسه هي الحلوة لانه لا يرى الدنيا ، وانما يرى صورة نفسه كما تعكسها له الدنيا .

اما الانسان الحقود فهو انسان معتقل من الداخل ، سجين قفصه الصدري لا يستطيع ان يمد يديه الى احد لان يديه مغلولتان وشرايينه مسدودة وقلبه يطفح بالغل .
كيف يمارس الحب بحرية واختيار وهو ذاته معتقل!
كيف يدرك جمال الكون وانسجامه وهو ذاته منقسم يفتقر الى الوحدة الداخلية والانسجام ؟

وانما تبدأ المحبة بتلك الحالة من السكينة الداخلية
التي يبلغها الانسان وكأنه فتح عينيه على ثراء داخلي لا
حد له .. تلك الحالة التي يتلقى فيها ذلك الضمان
الغامض .. ذلك الصك بأنه مؤمن عليه ضد المرض
والشيخوخة والافلاس والحرائق والفقر والحوادث ..
تلك الحالة التي يزول فيها الخوف تماما وكأنما برقت
البروق لحظة فاذا به يرى سفينته التي تتقاذفها البحار
الهوج موثوقة الى الاعماق برباط خفي لا انفصام له ..
وكانما كانت طول الوقت تلقي بمراسيها في بر الامان وان
دل ظاهرها المرتجف المتقلب على غير ذلك •

ذلك اليقين العميق الذي يأتي من مكان ما في النفس
ليغمر روح الانسان بذلك الايمان الثابت بأنه هنا .. وانه
كان هنا .. وانه سيكون هنا .. طول الزمان .. وانه لم
يولد ولن يموت .. وانه شاخص حاضر ابدا كل لحظة
الحضور الابدي ذاتها •

تلك اللحظة التي ينتفي فيها الخوف ويزول
الاغتراب .. والتي يعود فيها ذلك المنفي ابدا .. الى وطنه
ودياره .. ويتعرف ذلك المغترب على ذاته ويبتهج بها اذ
يراها خالدة حقيقية لا يمسه الضر ولا ينالها الاذى ..

تلك اللحظة التي يفرق فيها بين أعراض الجسد الزائلة
وبين ذلك الرسوخ والامان والسكينة الدائمة التي تسبح

فيها النفس والتي تكمن فيها في لواذ دائم بتلك الاعماق
الهائلة مشرقة على الوجه بالابتسام في احلك الاوقات •
تلك الهدنة التي تنعقد بين الانسان ونفسه هي النبع
الذي تتدفق منه المحبة لتحضن الآخرين وتعانق الحياة •
لقد كانوا في الماضي يبشرونكم بان تحبوا الغير ،
ولكن اقول لكم احبوا نفوسكم •• احبوا ذواتكم
بحق •• فبدون هذه المحبة لا يكون حب الآخرين ممكنا •
كيف تستطيع ان تصادق الآخرين وانت عاجز عن
مصادقة نفسك !

نحن نظن اننا نحب انفسنا •• ودليلنا على ذلك اننا
نسقي انفسنا الخمر كل يوم ونوفر لها المتعة •• وحقيقة ما
نفعل يدل على الكراهية لا على الحب ، فنحن نقتل انفسنا
بالخمر والتدخين والمخدرات والافراط ولا نطبق دقائق
قليلة من الوحدة مع نفوسنا فنستعين عليها بالمغيبات ••
هاربين من هذا اللقاء ••

نحن اعداء نفوسنا •• وهذه هي الحقيقة المؤلمة ••
وما اصعب ان نكون اصدقاء لنفوسنا ••
الانبياء وحدهم هم الذين استطاعوا ان يكونوا على
وفاق ومحبة مع نفوسهم فاستطاعوا ان يعطونا ويعطوا
الدنيا الكثير •

واللقاء مع النفس شاق .. وتتمام الوفاق مع النفس
اشق واصعب .. وذلك الانسجام الداخلي ذروة قل من
يبلغها .

ولكن الامر يستحق المحاولة .

٤١٨ نعشا.

في احدى المدن الامريكية تحرك موكب من ٤١٨
نعشا ..

المرافقون للجنازة كانوا يلبسون الكمامات .

وعلى طول الطريق اعلنت حالة الطوارئ في
المستشفيات ووزعت الاقنعة والعقاقير المضادة .

ومرت هذه الجنازة الغريبة في طريقها لتلقي بحمولتها
من النعوش في مقبرتها في قاع المحيط على عمق الف
 وخمسمائة قدم .

وكان المشيعون يرتجفون رعبا لا حزنا .. فقد كانت
تلك النعوش الرهيبة هي صناديق من الصلب تحوي اطنانا
من غاز الموت .. كل نعش به ثلاثون صاروخا معبأة بغاز
الاعصاب القاتل .. اي اكثر من ١٥ الف صاروخ في
مجموعها .. اذا تسرب من احدها الغاز فانه يقتل من يشمه
في دقائق .

وقد قررت امريكا التخلص من هذه الغازات ليس
حبا في السلام ولا زهدا في القتل .. ولكن لانها اخترعت
وسائل ميكروية وكيميائية اشد فتكا من هذا الغاز
الروباييكيا... واستحدثت موضات اسرع في الاجهاز
على ضحاياها من هذا الغاز الموضه القديمه .

لقد بلغت سرعة تطور العلم والاسلحة الفتاكة لدرجة
اصبحت المشكله .. هي كيف السبيل الى التخلص من
الاسلحة القديمه ومن وسائل الموت المتخلفه .

ان اختراع المدفع الرشاش كان ايدانا بنهاية عصر
بندقية الخفراء .. وقنبلة الهاون طردت قنبلة مولوتوف
من السوق .. والقنبلة الذرية جعلت الحرب التقليدية مثل
حرب الهراوات .

وغاز الاعصاب جعل غاز الخردل موضه قديمه .

واليوم غاز الاعصاب اصبح روباييكيا .

وظهرت موضه حرب « الطولاريميا » وهو توكسين
ميكروبي يوضع في الانهار فتموت مدن على برة ايها .
وقنبلة هيدروجينية مدارية توضع في قمر صناعي
يدور في فلك حول الارض ثم توجه للسقوط بازرار من
قواعد الكترونية على الارض فيقع الموت على قارات
فيغرقها .

وفي الطريق قنبلة الكوبالت ..

وقنبلة النيوترون ..

وقنبلة النيوترون هذه يمكنها ان تشق الارض نصفين
مثل البرتقالة او تنثرها اجزاء .. فتنحول الارض الى
سحابة من الحصى تسبح في الفضاء .

والدول الكبرى تتسابق الان في التخلص من
ترساناتها من الاسلحة القديمة بالقائها في حرب فيتنام
وكوريا ونيجيريا ويبيعها للدول المتخلفة .. وآخر خبر ان
تشيعها في جنازة رسمية وتلقي بها في البحر .. فليس من
حسن السمعة ان تحتفظ الدولة الكبرى في ترساناتها
بسلاح ضعيف .. وامثال تلك الاسلحة الرحيمة التي لا
تقتل الا الوفا يجب ان تدفن في مقبرة تليق بها .

هي اذن جنازة لتشيع الرحمة والرفق والرقعة لتدفن
وتغيب عن سمع العصر الجديد وبصره .. عصر الموت
الشامل والقتل الصاعق بضغطة على زر بدون حاجة الى
مواجهة او شجاعة ... فالشجاعة والفروسية هي ايضا
موضة قديمة يجب ان تدفن .. ونحن اليوم في عصر القتل
بنذالة .. وترك المواجهة ليتولاها ميكروب في الظلام او
سم قاتل يتسلل في خفاء الى العروق او غاز بلا رائحة
يتلصص الى الصدور بينما اصحاب هذه الصدور يتنفسون
غافلين في امان .

• انها حرب الست ثواني •

وقتال المكيدة •• والظعن فسي الظهر •• والشراك
الالكتروني الغادر • لن يستطيع الجندي الغالب في حرب
المستقبل ان يقول •• انا بطل •• ولا الجندي المغلوب ان
يقول •• انا شهيد •• لان البطولة سوف تتوارى ليحل
محلها المكر واللؤم ••

• سوف تنتصر الميكروبات وتكسب لنا الحروب •

• سوف تكون مارشالات المستقبل •

يا له من تقدم !!!

أخيرا •• عرف الانسان مكانه •• خلف الميكروب ••

• ووراء الفيروس •• وتحت قيادة الجراثيم •

طالع الشجرة في لندن

وهي غير الشجرة التي طلعتها توفيق الحكيم •
انها مسرحية تعرض على مسرح « كوين » في لندن،
امتدادا لعرض مستمر ناجح منذ شهور •

بريجادير انجليزي عائد من الملايو بعد خدمة عشرين
عاما في جيش الامبراطورية وعلى وجهه كل كبرياء الضابط
الانجليزي حارس الامجاد التليدة .. وهو يدخل الشقة
التي مر عليه عشرون عاما دون ان يراها ليفاجأ بان اولاده
خناقس وهيبز وقد اطالوا شعورهم ووضعوا فيها الريش
ورسموا على خدودهم نجوما واقمارا ... وبنته تدخل
حاملا في شهرها الاخير .. فيحتضنها الاب ويقول لها :
« مبروك ! متى تزوجت ؟ » فتضحك الابنة في مرح قائلة :
« أوه يا بابا جواز ايه وبتاع ايه .. ده جه كده وكده من
غير جواز ولا حاجة » .. فيقول الاب مبهوتا : « كده
وكده ازاي .. اليس له اب ! » .. فتضحك الابنة في

بساطه : « أوه يا بابا ، انهم كثيرون .. كيف اعرف من فيهم الاب » !

وبكل برود الاب الانجليزي لا نرى الرجل يشخط وينط ، ولا نراه ينزل في اولاده بالاقلام والشلاليت ، وانما يجلس في هدوء ويجمعهم حوله قائلًا في تفكير :

— يبدو ان هناك اشياء كثيرة حدثت في لندن اثناء غيابي ، فقد اصبحت متخلفا جدا .. ارجوكم تعالوا فهموني .. لا بد ان لكم فلسفة معينة في هذه الامور ...

— بالطبع يا بابا .. انها مسائل فلسفية بالدرجة الاولى .. انها الحرية .. نحن طلاب حرية .. لم نعد نريد وصاية من احد .. الاجداد كذابون والآباء منافقون والوعاظ مرتزقة والشعارات تجارة والمبادئ سلالم وصول .. كفى .. لا نريد من احد ان يعلمنا الادب ولا دخول الحمام ولا قص الاظافر .. نحن احرار .. احرار .. احرار .. حتى من العمل .. نعم .. لن نعمل .. سوف نشحذ لنعيش .. الا ترى ان ذلك سيكون اكثر حكمة ؟

ويفكر الاب قليلا ثم يجيب :

— والله انها افكار جديدة بالتأمل فعلا .. اعطوني فرصة حتى احاول ان افهمكم ...

فاذا كان الفصل الثاني فوجئنا بالبريجادير يدخل

وهو عار-وفي رأسه ريش وعلى صدره وشم ورسوم وعلى
جبينه عصافير ، يدفع امامه عربة روبايكيا مكتوبا عليها
« انا اطرش واخرس .. ومحارب قديم في جيش
الامبراطورية .. اعطوني شلنا لله ! »

يدخل البريجادير بهذه الصورة على اولاده
فتجسدون في أماكنهم فاغري الافواه وكأنما نزلت عليهم
صاعقة .. ثم يقول الابن في اشمزاز :

— هذا بشع يا بابا .. ماذا فعلت بنفسك !

— انا يا ولدي آمنت بفلسفتكم وهذا كل ما حدث ..
انا ايضا حر .. حر في ألا استحم ، وفي ان اسير عريانا
واضع في رأسي ريشا مثلكم تماما .. انا مقتنع .. اليس
لي الحق .

— ولكن هذا فظيع .. ماذا سيقول عنا الجيران ..
وقسيس الناحية .

وتصبح الابنة :

— لقد انزلت بنا عارا لا يمحي .. سوف نصبح
اضحوكة الحي !

— وانت يا ماري التي حملت سفاحا .. ألم تنزلي
بي العار ..

— يا الهي لقد كنت امرح .. هذه مسائل طبيعية

جدا .. لماذا نعقد الامور .. وانا في النهاية حرة ..
ولدت حرة مثل شعاع الشمس .. ولي كامل الحق في ان
ألعب وأمرح .

— حسنا يا ابنتي وهذا ما افعله .. انا ايضا امرح
مثل شعاع الشمس .

— ولكن ما تفعله شيء فظيع فظيع .. انك تشحذ .

— ولكن يا اولادي .. اليست هذه هي آراؤكم
نفسها التي تروجونها .. ألا تؤمنون بما تقولون .. أم
انها مبادئ للاستهلاك الخاص !

— ولكن يا بابا انظر لنفسك في المراة .. وماذا
تكتب على هذه العربة .. اطرش واخرس ونريد شلنا
لله .. يا للفظاعة .

فاذا كانت نهاية الفصل الثاني وجدنا الابناء قد عادوا
الى ارتداء ثيابهم النظيفة .. ووجدت الابنة لها زوجا
ليسترها ، في محاولة لاغراء الاب بالاقلاع عن هذه
البشاعات .

وترتفع الستارة عن الفصل الثالث لنفاجأ بأن الاب
مستمر في الشحاذة وفي تربية اطفاله وشعره وهو يقلد
ابناءه في هدوء . انه لن يقلع عن هذه الفلسفة الجديدة
لانه ببساطة شديدة مقتنع بها ومؤمن بها بكل حماسة

واخلاص ... واكثر من هذا فقد اضاف الى الفلسفة بضعة
تعديلات مبتكرة وطورها على حد تعبيره ... فمن اليوم لن
يسكن في البيت ولكنه سوف يسكن على شجرة •

ويصرخ الابناء ويدقون على صدورهم •

ولكن الدنيا تتغير بسرعة دائما •

وفي ختام المسرحية نكتشف ان جميع لوردات
انجلترا ... كل واحد قد اختار شجرة ينام فوقها ... وان
موظفي السكرتارية لا يعرفون كيف يستدعونهم لاجتماعات
مجلس اللوردات !

لماذا الملل

- حضارة اليوم طابعها الملل •
- الحب يولد ليموت والمرأة طبق شهى لوجبة واحدة
- ثم يصفق القلب طالبا تغيير الطبق •• العين تمل واللسان يمل والمعدة تمل ••
- الاسطوانة تكتسح السوق اليوم •• وغدا لا تجد من يشتريها •
- الموضة الفستان الجرار المتهدل على الساقين •
- الموضة فوق الركبة •
- الموضة المفتوح •
- الموضة المققول •
- الموضة الشوال •
- الموضة الممزق •
- التغيير •• التغيير ••
- حتى في الفكر والفن •
- سارتر ينادي بالوجودية •

- سارتر يهجر الوجودية •
- سارتر يقول لنا ماركسي •
- راسل شيوعي •
- راسل يهاجم الشيوعية •
- الواقعية في الفن •
- السريالية •
- التكعيبة •
- التأثيرية •

كل مذهب ينتشر يفقد قيمته •
 وكل فلسفة يظهر لها متحمسون فدائيون ثم ينفض
 من حولها السامر تماما كماركات العربات وتسريحات ذيل
 الحصان •

الملل .. الملل ..

كل جديد يصبح قديما بمجرد تناوله •
 وكل لهفة تتحول الى فتور ثم ضجر قاتل •
 وطريق الخلاص سيجارة وكأس ولعافاة مخدر
 وقرص منوم والفسك مسكن ومسكن للاعصاب وابونيه عند
 اطباء الامراض النفسية •

لم يعد زبون الكباريه تثيره مفاتن الراقصة العارية
 التي كشفت له عن مفاتها ثم دعت الى شقتها •
 ولكن اللذة الطبيعية اصبحت عادية .. والحواس
 تبلدت •

والملل يلتبس مهريا اخيرا في الشذوذ •
ثم في الافراط الى حد الاعياء •
ولا حل •
وفي محاولة اخيرة يلجأ الزبون الى مائدة القمار •
ثم ينحدر برجليه خطوة خطوة في طريق الانتحار •
أفيشات السينمات •• اعلانات الصيدليات ••
عناوين الكتب « مانشيتات » الجرائد •• صور
الكاباريهات •• تصرخ نحن في عصر الملل •
الوجوه الشاحبة والاذرع المدلاة والعيون المحمرة
والانامل المرتجفة في عصبية •• تصرخ •• نحن في عصر
الملل •• الحب كذبة عمرها عمر المناورات والمناوشات ••
تذكيها الاثارة •• وحى يؤججها التمتع والتدلل حتى
يصل الى الفراش فتهبط الحرارة ويشفى الحبيبان
ويستحمان في عرق العافية ويتحول الحب الى
عادة حميدة يعقبها دش مرطب واكله طيبة وامل
خبث في مغامرة جديدة تنعش الذي مات من العواطف •
النقود تترك طالما هي في جيب غيرك فاذا دخلت
جيبك فقدت جاذبيتها •
الشهادة حلمك وغايتك وأملك حتى تحصل عليها
فتنسى امرها تماما •
الوظيفة هدف براق حتى تنالها فتتحول الى عبء
ثقيل •

لماذا كل هذا الملل •
لأننا في عصر افلاس القيم •
قيمة الحب التي تروجها الاغاني والروايات سقطت
وافلست •• لأن المرأة لا تصلح لأن تكون هدفا يطلب
لذاته •

• المرأة طريق •

نحن نحب المرأة الجميلة كطريق يوصلنا فيما بعد الى
محبة الجمال ••

المرأة نافذة الى شيء وليست هدفا نهائيا •

واذا اتخذناها هدفا نهائيا كما تقول لنا الاغاني
والروايات فانا سوف نقتل هذا الهدف بحثا في الفراش
ولن يتبقى لنا شيء نجري وراءه •

المرأة زيت يوقد المصباح لنرى على ضوءه اشياء
اخرى غير المرأة •• معان وقيما ومثاليات نعشقها بلا ملل •
وبدون مثاليات وبدون ايمان لا يمكن لحياة ان تعاش
وحضارة هذا العصر سقطت لان ما فيها من فكر
مادي اسقط الاديان ولم يستطع ان يقيم لها بديلا روحيا •
انه يقول لك انك تستطيع ان تدخل الجنة بخمسين
ليرة في الكازينو فترى الحور العين من اللؤلؤ المكنون
لابسات الحرير وترى انهارا من الخمر وانهارا من العسل

وزيادة على ذلك تستمتع بفرق اكروبات وتجرب حفظك على
مائدة الروليت •

وفي المدرسة يعلمونك ان آدم ليس من تراب ولكن
من اسلاف من جنس القروذ وانه سليل تطور انحدر من
الحشرات وميكروبات المستنقعات •

وبسقوط هيبة الاديان يقف الانسان وحيدا بلا سند
بلا ايمان في انتظار جودو الذي لا يأتي •

كل ما يملكه حياة فانية بعدها التراب ولا شيء وهو
يتحول بهذا دون ان يدري الى يأس قاتم لا مخرج منه ••
وعطش لا ارتواء له •• فهو ينتقل من لذة لا تروي •• الى
لذة لا تروي •• ولا شبع •• ولا نهاية •

فهو قد اكتشف ان لا شيء حقيقي •
لا قيمة باقية ولا معنى لشيء ••
الملل هو كل ما تبقى له ••

وهو ملل لا علاج له الا بالعودة الى فكرة الروح
الى الايمان بأن الانسان لا يموت وان في الدنيا قيم
خالدة •• وان هناك حقيقة خلف عالم الظواهر والاوهام •
حقيقة تبث في من يبحث عنها الحماس الذي لا حد له •

الرقص للرقص

إذا كنا نأخذ موسيقى الجاز الآن من امريكا فهي قد
اخذتها من قبل من افريقيا ... فهي اذن بضاعتنا ردت
اليها في عبوة جديدة *

والرقص يتطور اكثر فأكثر في اتجاه الايقاعات
الزنجية ... انتهى رقص زمان الروماتيكى العالم الذي
يتلاصق فيه كل راقص مع رفيقته الخد على الخد والصدر
على الصدر والفخذ على الفخذ ويتميل الاثنان ذلك
التمايل المخمور البطيء مع التانجو .. والاثنان في احسن
الحالات في دور اغماء عاطفي وفي اسوأ الحالات في دور
اغماء جنسي *

مثل ذلك الرقص القديم كان قيذا اكثر منه حرية ..
وكان الفرد فيه يضيع في قبضة العاطفة وكانت الرقصة
ذاتها وسيلة تقرب بين الذكر والانثى واسلوبا مهذبا من
أساليب الغزل *

اما الآن فان الرقص تطور الى رعشات فردية مجنونة
ورقصة مثل رقصة الجيرك هي رقصة فردية تماما ..
يرقص فيها الفرد لنفسه وللرقص .. لا يمك ذكر بأثى
ولا اثى بذكر وانما كل واحد في عالمه يغني في واديه ..
وتتحول الحركة الى وسيلة تعبير عن الخبايا النفسية
انعميقة والضغط السيكولوجية والتوترات الذهنية
ووسيلة تفريج عن مختلف الطاقات المكبوتة بأسلوب برىء
وفني فيه ابتكار وابداع .. ويمكن ان ترى الشاب في
لحظة الاندماج يؤدي ما يشاء من الحركات بدون قانون
سوى الموسيقى ذاتها وسوى قانون النفس .. فهو يلاكم
الهواء .. أو يلطم .. أو يندب .. أو يتلوى في
شاعرية .. أو يضرب نفسه .. أو يتقاذز مثل كرة من
المطاط .. أو يصفق ويصرخ ويدق الارض احتجاجا ...
وهو مغمض العينين لا يرى احدا ...

وهو لا يتقرب برقصته الى احد ... ولا يتماسك
مع احد ... وانما هو وحده مع كهنوته الداخلي .. فهي
رقصة حرية وفردية .. وهي وسيلة تعبير بالفن والحركة
عن المكونات النفسية .

ومثلها كثير من الرقصات الفردية العنيفة التي
انتشرت في هذا العصر .. وهي اشبه بمظاهرات احتجاج

وعرائض شكوى أسلوبها الحركة ولعتها الموسيقى .

وهذا اللون من الرقص افضل من الرقص العاطفي
المخمور . . واكثر حرية واكثر براءة من التانجو الحالم
الذي كنا نراه في كباريهات زمان . . وهو لون من
التنفيس والتفريج الصحي عن طاقات الشباب العنيفة . .
وهو صورة طبق الاصل من الرقصات الزنجية التي
شاهدتها في الغابة يرقصها الزنوج عراة في ضوء القمر
على نغمات الطبول ولا يتخاصر فيها رجل بامرأة ولا امرأة
برجل وانما كل واحد يهيم وحده في عالمه يغني ويصرخ
ويولول ويدق على صدره ويشكو الى خالقه من ظلم هذه
الدنيا بتلك اللغة الخرساء البليغة التي اسمها الحركة .

والرقص الآن هو زار مودرن يشترك فيه بنات
واولاد ركبهم شيطان الشباب وجن الرغبات المكبوتة .
وينفخ الزامر في مزماره ليعلن الشيطان عن نفسه
ويخرج من القمقم وتنطلق الاحزان الدفينة كالجن من
مخابئها .

وبعد ساعة من هذه التشنجات تهدأ النفس الثائرة
وتعود الى اتزانها .

وامثالنا من الجيل الوقور المهذب الذي لم تتح
له هذه الفرصة للتفريج عن ازماته والتنفيس عن غليانه

الداخلي .. كانت تنتهي به ازماته الى تشنج مرضي ..
فيتشنج المصران ويؤدي الى حالة « قولون » مزمنة ..
او يتقلص الشريان التاجي ويؤدي به الى حالة ذبحة ..
او تشنج الشعب الهوائية وتؤدي الى حالة ربو .

ومثل هذه الرقصات العنيفة هي صمامات أمن ومنافذ
وقائية للشخصية المتوترة ... وهي احيانا ادوية اكثر نفعا
من اقراص اللومينال والبرترانكيل ... وهي رياضة في
عصر هو بحق عصر الانفجار .

التقدم إلى الخلف

حينما اكتشف الرجل الاوروبي البخار والكهرباء
وصنع الصلب والقطارات والطائرات واضاء المدن فأحال
ظلامها نهارا .. امتلأ شعورا بالسعادة والعظمة .

وحينما وضع قدمه في افريقيا السوداء .. نظر اليها
نظرة السيد الى ملايين العبيد المتخلفين المتأخرين المتبربرين
المتوحشين .. وشعر بأن عليه واجب الاخذ بيد هؤلاء
الحيوانات الى نور المعرفة والعلم والوصايا العشر .
وبين زنوج عراة حفاة وقف المبشر الاوروبي في
ثياب نظيفة يقول لكل واحد :

لا تسرق ...

ونظر كل عريان بجواره يتساءل .. نسرق ماذا ؟
لا احد يملك حتى خرقة على جسده .. والطير يمرح
على الشجر لمن يصطاده .. والارض مجانا لمن يزرعها ..
والفاكهة دائية لمن يقطعها ...

نسرق ماذا ... ولماذا ؟
اسهل على الجبل ان يدخل ثقب ابرة من ان يدخل
الغني جنة الله ..
والكن من هو الغني ...
الذي يملك اكثر ... الذي عنده نقود اكثر * الذي
عنده سندات وعقارات اكثر *
والكن ليس بيننا من يملك اكثر ولا من يملك اقل ..
ولا نعرف ملكة .. ولا نعرف نقودا .. وليس بيننا من
يملك سندات وعقارات *
هذا عين التأخر والبربرية والوحشية !

سوف يصك لكم الرجل الاوروبي النقود .. وسوف
يجعل بعضكم فقراء وبعضكم اغنياء .. وسوف يجعل
بعضكم يملك وبعضكم لا يملك .. وهكذا ننشأ بينكم
الاحفاد فنعرفون معنى التوصايا العشر *
ولكن ما بال الرجل الاوروبي نفسه لا يعمل بالوصايا
العشر ؟

لماذا يسرق خرباب العابة ويسجنها في الجواحر
المراصة على الشاطئ الى بلاده ... لماذا يقتل العبيد
بالسخرة في المناجم .. لماذا يتزوج واحدة ويزني بالثاني ..
ولماذا يكذب على نفسه وعلينا وعلى الله ؟
وظلمت الحياة تسير في رنابة بين المتوحشين المبربرين

تحصدهم الامراض وتتخالف عليهم الملاريا والحمى
الصفراء والحيات والافاعي ورصاص المستعمرين ..
وتولى الرجل الاوروبي مهمة قتل نفسه في حربين
عالميتين ..

وتولى حصار المدينة التي اقامها .. كلما بنى هدم ..
وكلما اقام حطم ..
ولكن الادوات في يديه ظلت تتقدم من طائرات الى
صواريخ ومن كهرباء الى ذرة ..
وها هو اليوم وقد امتلأ شعورا بالثقة وقد ازداد
تأكدا انه اصبح السيد بالفعل .

سيد من !!!

سيد على الطبيعة وعبد لنفسه !
وهو يزداد عبودية لهذه النفس كل يوم ...
تستهويه البضائع الاستهلاكية في الفاترينات
ونستعبده الثلاجة والغسالة والعربة البويك والريكورد
: والترانزيستور .

وسيطرة البضائع الاستهلاكية والترف الشخصي
تفرض نفسها على بلد رأسمالي كأمریکا كما تفرض نفسها
على بلد اشتراكي كروسيا ..
ومن اجل مزيد من الترف والبضائع الاستهلاكية
لكل فرد ومن اجل السيطرة والتحكم في الآخرين سوف

نوم حرب نالته علم بعد المسألة مسألة مذهب .. وانما
حقيقته المسألة ان الانسان لم يقدم واما تأخر .. وهو
كل يوم يتأخر ..

الادوار في يديه هي التي تقدمت وتحول هو من
صانعها الى خادمها ثم الى عبدها .
لكن كل هذه البضائع الاستهلاكية ليست أكثر من
لعب انتقام في فترينة وكل ما احرزه الانسان من تقدم
هو تقدم سكلي ..

والانسان في اثينا منذ اكثر من الف سنة ايام
سقراط وافلاطون وارسطو .. كان اكثر تقدما .. وكان
يعرف طريقه الصحيح الى التقدم بالفعل .. كان يبحث
كيف يعرف نفسه وكيف يتخلص من عبوديتها وكيف
يحقق الحرية وكيف يحقق العدالة وكيف يصل الى معرفة
الله .. وكان كل واحد يناقش الآخر في حرية ..

اما اليوم فكل واحد يطلق على الآخر الرصاص ..
ولا احد يفكر كيف يعرف نفسه ولكن كيف يشبع
نهم تلك النفس الجشعة بلا حدود .

والنفس تدفن شيئاً فشيئاً تحت ركام البضائع
الاستهلاكية يخنقها طمعها اللانهائي ..

نحن نتأخر .

الادوات في ايدينا تنسو في القوة باطراد حسابي كسا
نمو الاموال تلقائياً في البنوك ..

ولكن التقدم ليس ان تنمو الادوات وانما ان ينمو
الانسان ..

ليس ان يسيطر الانسان على الآخرين وانما ان
يسيطر على نفسه على غضبه ..

ليس ان يمتلك الانسان القوة بل ان يمتلك الرحمة .
ليس ان يفرض الشرق مذهبه على الغرب ولا ان
يفرض الغرب مذهبه على الشرق .

وانما ان ترحب الصدور ليقول كل واحد كلمته ..
صحيح اننا الآن نركب صواريخ ونسير بسرعة ولكن
الى وراء والى تحت والى خلف والى دغل كثيف نعود فيه
حيوانات اكثر افتراسا من كل الحيوانات .. حيوانات
مخالبة ذرية وانباها نووية .. مسوخ اختل فيها التوازن
فأصبحت لها ابدان هائلة وقلوب ضئيلة وارواح هزيلة ..
الجنس البشري الان هو الدينا صور الجديد الذي
سوف ينقرض ..

واقراءوا التاريخ لتعرفوا كيف كان على الارض منذ
ملايين السنين حيوان هائل ضخيم كالجبل يحكم جميع
الحيوانات اسمه الديناصور .. ثم انقرض وهلك ..
والسبب انه كان قويا جدا ومغفلا ...

من أين تنبع السعادة

منذ الف سنة كان السفر الى اليمن على الاقدام
يحتاج الى اعوام .. يحمل المسافر خيسته وزاده وزواده
وزكائب التمر والبلح والخبز المكسر ويتوكل على الله ..
وبين الفياقي والجبال والوهاد والاحراش يطل عليه الموت
من انياب ذئب جوعان او قاطع طريق متربص او حر لافح
ينفصم الظهر او برد قارص يثلج العظام ... فاذا وصل
سالما فهو قد ولد من جديد ... وهي الفرجة التي لا
تدانيها فرحة .

والمليونير على ايامها لم يكن يمتاز على الصعلوك الا
في الخيول المطهمة .

كان الفرس هو السيارة التي تختصر الاعوام في شهور
وكانت هذه هي سرعة البرق زمان .
وعرفنا السفن الشراعية لننتقل من احوال البر الى
احوال البحر ..

يقطع المسافر فيمسك بأنفاسه وقد أدرك أنه أسلم نفسه
إلى غول لا يعرف الرحمة .. فإذا وصل إلى بر الأمان
دقت له الطبول والمزامير واستقبلته الأحضان وسجد لله
شكرا من فرحة الوصول •

أما اليوم فنحن نقطع المسافة بين القاهرة واسوان في
ساعات بالقطار ونشعر طول الوقت بالملل والضجر والبطء
وننظر إلى ساعاتنا حتى إذا وصلنا سالمين بدأنا نسب ونلعن
لأننا تأخرنا نصف ساعة •

ونركب الطائرة النفثة لنصل إلى بيروت في دقائق
ونشكو من الشكوى لأن الضباب والعواصف آخرت
وصولنا عشر دقائق ..

وحينما نسافر غدا بالصواريخ إلى المريخ سوف
نكون أكثر مللا وتعجلا وسنقول .. ما هذه الصواريخ
اللكم .. ألا يعرفون في مصلحة الصواريخ قيمة الوقت ؟
وسوف تتضاعف قيمة الوقت بالفعل •
ستكون الساعة كافية للدوران حول العالم وسيكون
الشهر مهلة عظيمة لجولة في المجموعة الشمسية •
وسوف تزداد الامكانيات ولكن سوف تتضاءل
السعادة •

كلما ازدادت الامكانيات ازداد الطمع •
وكلما ازدادت السرعة ازدادت العجلة •

• وكلما ازداد الترف ازدادت الشكوى •
سأنا مل حكاية الغني الذي برداد طمعا كلما ازداد
نراء •

وهذا شأن المكاسب المادية •• كلما ازدادت ازداد
الافتقار اليها والى المزيد منها وبالتالي ازدادت التعاسة •
لان السعادة موطنها القلب وليس الجيب ولا عبرة
فيها بازدياد الامكانيات المادية •

السعادة نبع من الضمير •• ومن علاقة الانسان
بنفسه وعلاقته بالله وهي في اصلها شعور ديني وليست
شعورا ماديا •

وهي نبع من احساس الانسان بانه ليس وحده وان
الله معه وان العناية تحوطه والالهام الخير يسعفه •• وانه
يقوم بكل واجباته •

ولهذا يسكن ان ينتحر مليونير يملك باخرة وطائرة
وعدة ملايين من الدولارات بينما تجد الراهب الذي
يعيش على الكفاف يضيء وجهه بسكينة داخلية لا حد لها
ويسارع الى نجدة الآخرين في محبة وسعادة لانه يؤمن
بان للحياة معنى وحكمة وانها لم تخلق عبثا وانما خلقها
العادل الرحيم •

يد الله ...

هل فكرت مرة في نفسك ؟

في جسمك- وكيف يعمل ؟

ان علوم التشريح والفسولوجيا فتحت اعيننا على
عجائب ومدهشات يقف امامها العقل مذهولا .

نعلم الان بالحساب والارقام ان الرئتين فيهما من
وسائل تنقية الدم وتهويته سبعة اضعاف الحاجة .. اي ان
الله وهبنا منذ الميلاد سبعة اضعاف ما نحتاج اليه من
النسيج التنفسي ...

وبالمثل في الكليتين احتياطي فائض عن الحاجة
سبعة اضعاف اللازم لحفظ الحياة ...

ونجد هذا الكرم والسخاء ايضا في نسيج مثل الكبد
وعضلات القلب وكرات الدم الحمراء وكراته البيضاء ...
ومن الحيوانات المنوية نقذف ، في المرة الواحدة
كثير من مائة مليون حيوان منوي اي ما يكفي لانجاب

شعب كامل ... ومن هذه المائة مليون ينتخب واحد هو اقواها ... هو الذي يصل الى مبيض الانثى قبل زملائه فيكون تلقيح البويضة وانجاب الوليد من نصيبه *

هنا شيء اكثر من السخاء والكرم ...

هنا يد الخالق وحكمته ومحبته مبسطة على آخرها . ويقول لنا التشريح ايضا ان العصب البصري فيه اكثر من مليون خط عصبي تتشابك كلها لتصنع شبيكة هي قاع العين حيث تقع الصورة ويتم التقاطها في دقة فائقة ... وحيث نرى في العتمة واحيانا في الظلام ونميز بين درجات اللون الواحد وبين اخلاطه ما يذهل *

اما قدرة الاذن على التمييز بين درجات الصوت ونوعياته فمعجزة تفوق معجزة الابصار ... فالام قد تعجز عن تبين وجه طفلها الضائع في الزحام ولكنها تستطيع ان تميز صوت بكائه من الف صوت ...

بل ان الاذن تستطيع ان ترسم صورة كاملة لشخصية انسان من صوته ونبرته ولهجته ...

بل هي تستطع ان نسع الغيب وتصفي الى الهواتف التي تعبر اليها من عالم المجهول ...

وقد القى الامر الى الانبياء سمعا ... كما نعرف ... فاذا وصلنا الى المخ فنحن امام خارقة الخوارق ...
فها هنا مجمع خطوط عصبية اشبه بسويتش هائل يلتقى

فيه اكثر من مائة مليون خط عصبي كلها تعمل معا وفي وقت واحد في تلقي الرسائل وتحليلها والرد عليها ...
في كل لحظة يصل الى المخ شلال من الاحساسات من الجلد والاحشاء والعين والاذن والاثف واللسان والعضلات والغدد ويخرج من المخ في ذات اللحظة طوفان من ردود الفعل في كابلات عصبية توصل كل رسالة الى مكانها .

جميع العضلات تبعث الى المخ في ذات اللحظة تفاصيل غاية في الدقة عن ما يطرأ عليها من توتر وانقباض وارتخاء وعلى المخ ان يرد في ذات اللحظة بالتعليمات المطلوبة للحصول على اي وضع نريده ... وهكذا نستطيع ان نقف على رأسنا او نمشي على ايدينا او نحفظ توازننا على قدم واحدة دون ان نقع .

وهكذا نجد ان عملية حفظ التوازن هي عملية معقدة من آلاف الضوابط ... كل عضلة لها مخ الكتروني صغير ومركز تنظيم في الدماغ ... والمراكز العديدة لها مجمع ترابط ينظمها جميعا ... ثم يخضع كل هذا للارادة والاختيار .

فاذا عرفنا ان فوق المخ شيء اعظم هو العقل ، وان المخ ليس الا الجانب الآلي من عملية شديدة الغموض .
وان العقل هو السيد ... هو الذي يأمر وهو الذي

يتكلم من وراء هذا السويتش العجيب ... فنحن في
النهاية امام معجزة اكبر ...

ذلك العقل الذي حاربنا به الميكروب وروضنا الاسد
واسطدنا الذئب واخضعنا وحوش الغاب ...
ذلك العقل الذي بنينا به الازهرام والسدود ونقلنا
الجبال من مكانها وهدمنا امبراطوريات وأقمنا
امبراطوريات ... واخيرا سعدنا الى القمر وسبحنا الى
النجوم .

ها نحن كلما اكتشفنا آية من آيات كرم الخالق قادنا
تأمل هذا الكرم الى كرم اكبر وعطاء اكبر ...
ومن وراء العقل يقودنا التأمل الى الروح ... سر
الاسرار ... وذروة العطاء الرحماني ...

وهنا يعجز القلم ويسكت الفكر حياء امام نعمة لا
ينلک الخيال ان يحيط بها ... اذ يصفها الخالق بأنها
فيض منه فيقول عن خلق آدم « فاذا نفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين » ... فهي نور من نوره ... تعالى
وتبارك في سماواته الذي خلقنا باسمه الكريم الوهاب
وتناهت عطاياه فما تناهت ... وما استطاع قلم ان يحيط
بكرمه او يحصر افعاله .

بيروت ذات الستمئة ألف وجه

بيروت .. المرأة اللعوب .. مستحيل ان تصدر عليها
حكما شاملا ..

انها يمكن ان تهبط بك السلام الحزونية الى علب
الليل وحانات الستريب تيز .. ولكنها ايضا تصعد بك
قمم فيروز والرحباني ..

وقد تتنافس في بيروت مجلتان .. على الصور العارية
فكرة عادية لرفع التوزيع *

ولكن بيروت تفاجئك بنفس الوقت بمجلة اخرى على
غلافها صورة ملونة لرجل عجوز وقور مثل توفيق الحكيم
(فكرة لا يمكن ان تصدر عن رغبة في رفع التوزيع او
اجتذاب مراهق جديد الى جمهرة القراء) *

وفي بيروت شوشو يمثل على طريقة ما قبل الكسار *
وفرقة ابو دبس تمثل على طريقة ما بعد الكوميدي

فرنسيز *

وفي بيروت تاجر يبيعك بضاعة تالفة بسعر مضاعف •

وفي بيروت « ابو الشام » الطيب القلب الوديع
الشهم الذي ما زال يلبس الشروال والزعبوط ويزرع
الضيعة ويبيعك التفاح الفاخر بسعر التراب •

وفي بيروت من يحارب العروبة علنا ويتكلم الفرنسية
ويقول ان لبنان يتبع خريطة اوروبا •
وفي بيروت من يستشهد في سبيل عروبه وعروبة
لبنان •

وفي بيروت من يضحك اذا كلمته عن الاشتراكية
ويعتبرها نكتة ظريفة •

وفي بيروت شبيبة جديدة • من طلبة الجامعات
يطالبون بالتنمية والتصنيع وزراعة الاراضي المهملية
وتشغيل الايدي العاطلة وتوجيه رأس المال الى المشاريع
الاجتماعية النافعة بدلا من تركه ليبنى العمارات على
ارصفة الشانزليزيه في باريس ويتسرب في بالوعة المغامرین
والمقامرين والمستغلين •

وفي بيروت من تتقدم للمنتج والمخرج وصاحب
الجريدة لتتدرب في شققهم الخاصة على اول دروس التمثيل
والشهرة ومصور الغلاف والقبلاط المحمومة •

وفي بيروت العذراء التي يحس وجهها خجلا وتسحب
بدها اذا عاشت اناملك وكأنا لدغها ثعبان •

وفي بيروت الزوج الذي يغمض عينا عن زوجته التي
تدور في حلبة الرقص مع صديق الخدع الخد والساق
لصق الساق والشفاه تهمس وتلثم اطراف الاذان

وفي بيروت الاخ الذي يقتل اخته غسلا للعار لانه
ضبطها تبتسم لجاره من الشباك وقد يكون الاثنان من
سكان حي واحد لا تزيد المسافة بينهما عن محطة اتوبيس ••
ولكن بين كل واحد واخر في بيروت توجد عصور واجيال
وحضارات وكأنهما من سكان قارتين مختلفتين وليس من
سكان شقتين متلاصقتين في طابق واحد •

في بيروت تجد عادات البداوة واخلاق السواحل
وبراءة سكان الجبال وانحلال سكان المدن وغلظة الريف
ورقة الحضر وقسوة الرأسمالية واحلام المثالية •

وفي بيروت تسمع الشعر والهذر •

وترى الطربوش والميني جوب •

وترى زبون الاسطوانات الذي يبحث عن اسطوانات
الخنافس والى جواره من يبحث عن اسطوانات الشيخ
رفعت •

وكل شيء صواب في بيروت وكل شيء خطأ •

وكل شيء ممكن وكل شيء مستحيل •

وانت حر •• وليست عندك ذرة حرية في نفس الوقت

(وبدون ليرات انت مسجون في فندقك .. واذا لم
يكن معك اجر الفندق فأنت مسجون على الرصيف)
• وحتى رصيف الهورس تسو يحتاج الى ليرات •
• وتساألني بعد ذلك حكمي على بيروت •
لي عليها ستمائة الف حكم بعدد الستمائة الف ساكن
الذين يسكنونها لكل واحد حكم خاص به •
فكل واحد مدينة في ذاته ولو ان اسم كل هذه
المدن بيروت •
بيروت الغانية ذات الستمائة الف وجه •

المسلطان الحقيقي

قل لي فيم تفكر اقل لك من انت •

هل انت مشغول بجمع المال وامتلاك العقارات
وتكديس الاسهم والسندات •• ام مشغول بالتسلق على
المناصب وجمع السلطات والتحرك في موكب من الخدم
والحشم والسكرتيرات •• ام ان كل همك الحريم وموائد
المتع ولذات الحواس وكل غايتك ان تكون لك القوة
والسطوة والغنى والمبرات •••

اذا كان هذا همك فأنت مملوك وعبد •

مملوك لاطماعك وشهواتك وعبد لرغباتك التي لا
شبع لها ولا نهاية •

فالمعنى الوحيد للسيادة هو ان تكون سيدا على
نفسك اولا قبل ان تحاول ان تسود غيرك •• ان تكون
ملكاً على مملكة نفسك •• ان تتحرر من أغلال طمعك
وتقبض على زمام شهوتك •

والنابض على رمام سهوه .. المحرر من صعه
وزوانه واهوائه لا يكون خياله مستعصره بحتلها الحرير
والطاس والفدادين والاطبان والعمارات والمناسب
والسكرنيراب *

الانسان الحقيقي لا يفكر في الدانا التي يرسي عليها
طغمة الناس *

وهو لا يسكن ان يصبح سيذا بان يكون ملوكا ولا
يلغ سياده عن طريق عبودية .. ولا ينحني كما ينحني
الدهماء ويسيل لعابه امام لقمة او ساق عريان او منصب
ناغر .. فهذه سكة النازل لا سكة الطالع *

وهؤلاء سكان البدروم في عمارة الانسانية لا سكان
الادوار العليا *

وهم سكان البدروم حتى ولو كانت اسماؤهم بشواب
وبكوات حتى ولو كانت القابهم اصحاب العزة والسعادة *

فالعزة الحقيقية هي عزة النفس عن التدني والطلب *

وممكن ان تكون رجلا بسيطا .. لا بك ولا باشا ..
ولا صاحب شأن .. ولكن مع ذلك سبدا حقيقيا لك عزة
الملوك وجلال السلاطين لانك استطعت ان نسود مسلكة
نفسك ..

وساعتها سوف يعطيك الله السلطان علي الناس ..
وينحك صولجان المحبة على كل القلوب .

انظر الى غاندي .. العريان .. البسيط .. كم بلغ
سلطانه ..

كان يهدد بالصوم فيجتمع مجلس العموم البريطاني
من الخوف وكان قبلة زمنية ستقع على لندن .. وكان
يجمع اربعمائة مليون هندي على كلمة يقولها .. وكأنها
السحر ..

هذا هو السلطان الحقيقي .

هذا هو الملك الحقيقي الذي لا يزول .

الحريم والقصور والكنوز والثروات والعمارات
مصيرها الى زوال ..

لن تأخذها معك الى تابوتك .. سوف تنقل الى
الورثة .. ثم الى ورثة آخرين ثم الى ورثة آخرين ثم تصبح
خرائب مع الزمن .

أما محبة الملايين فسوف تصاحبك في تابوتك وتظل
علما على اسمك مدى الدهر .. كما تفوح الذكرى عطرة
تضوع بالشذى كلما جاء اسم غاندي على اللسان .

الغنى الحقيقي ان تستغني ...

والملكية الحقيقية الا يملكك احد والا تستولي عليك
رغبة والا نسوقك نزوة ..
والسلطنة الحقيقية ان تكسب قيراط محبة في دولة
الفلوب كل يوم ..
تذكر ان الذين يملكون الارض تملكهم الارض ..
والذين يملكون الملايين تملكهم الملايين ثم تسخرهم ثم
تجعل منهم عبيدا لتكثيرها .. ثم تقتلهم بالضغط والذبح
والقلق .. ثم لا يأخذون معهم مليما .
صدقني هؤلاء هم الفقراء حقا ...

لغز المرقم ٧

اليهود يقدسون اليوم السابع من الاسبوع (السبت)
ويجعلون منه يوم راحة ... والسنة السابعة ويسمونها
سنة السبت .. وكذلك ٧×٧ أي العام التاسع والاربعون
ويسمونته عام العيد .

وتقول لنا التوراة ان الله خلق العالم في ستة أيام
ثم استراح في اليوم السابع .

وفي الانجيل يقول لنا يوحنا اللاهوتي في سفر الرؤيا
ان الله يوم القيامة يفتح كتاب الاقدار ويفض الاختام
السبعة فينفخ سبعة من الملائكة في سبعة ابواق وتحدث
سبع كوارث تنتهي بها الدنيا .

ويحدثنا القران عن سبع سماوات وسبعة ابواب
للجحيم .. وسبع سنوات عجاف مرت بها مصر أيام نبوة
يوسف .. وسبع ليال سخرت فيها الرياح المهلكة على قوم
عاد .. وسبعين رجلا جمعهم موسى لميقاته مع الله ..

وسلسلة في جهنم طولها سبعون ذراعا .. ويقول للنبي
الكريم « ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم » ..
ويقول ان الله خلق العالم في ستة أيام ثم استوى على
العرش في اليوم السابع .

فاذا وضعنا الكتب المقدسة جانبا وجئنا الى العلم فأنا
نجده يقول لنا ما هو أعجب .. فالنور يتألف من سبعة
الوان هي الوان الطيف .. من الاحمر الى البنفسجي ..
ثم يأتي بعد ذلك سبعة الوان غير منظورة من تحت الاحمر
الى فوق البنفسجي وهكذا في متاليات سباعية .

والموسيقى يتألف سلمها من سبع نغمات صول لا سي
دو ري مي فا ... ثم تأتي النغمة الثامنة فتكون جوابا
للالولى ويعود فيرتفع بنا السلم سبع نغمات اخرى وهكذا
سبعات سبعات .

وفي ذرة الايدروجين داخل قلب الشمس يقفز
الالكترون خارجا من الذرة في سبع قفزات لتكون له
سبعة مدارات تقابل سبعة مستويات للطاقة في كل مستوى
يبت حزمة من الطاقة هي طيف من أطياف الضوء السبعة .

والجنين في بطن امه لا يكتمل نموه الا في الشهر
السابع واذا ولد قبل ذلك لا يعيش .

وقد توارثنا الاحتفال بسبوع المولود .

ثم نحن قسنا ايامنا الى اسابيع نجد ذلك في جميع
الامم دون أن يكون بينها اتفاق •

ونحن نجد رقم ٧ رقما فريدا لا يقبل القسمة وليس
له جذر تربيعي ولا يقبل التحليل الحسابي • • فهو في ذاته
وحدة حسابية •

ونجده مستعملا في جميع طلاسهم السحر والاحجبه
والتماثل وفي التساييح وفي قراءة الاوراد •
ونجد للانسان سبع حواس • • حاسة السمع والبصر
والشم واللمس والذوق وحاسة ادراك الزمن وحاسة ادراك
الوضع في المكان •

ونجد فقرات الرقبة سبع • • هي كذلك في القنفذ
وهي كذلك في الزرافة وهي كذلك في الانسان والحوث
والخفاش • • بالرغم من تفاوت طول الرقبة بين أقصى
الطول في الزرافة وأدنى القصر في القنفذ •
هل كل هذه مصادفات •

واذا صحت مصادفة واحدة فكيف يجوز ان تجتمع
كل هذه المصادفات على نفس الرقم •
يجب ان نعترف انه رقم له دلالة • • وانه رقم مهم
وجوهري في بناء هيكل الكون وفي تكوين الانسان •
وانه لغز يثير التفكير والتأمل •

فرويد الرجل المريض

ما أكثر ما يبدو سطح البحر هادئا ناعما كبساط من
حرير يوحى بالسلام والاستقرار والامان .

وما أكثر ما يخفي ذلك المظهر الهاديء الخادع صراع
الموت والحياة وحشرات الاحتضار في داخله حيث في
العمق تسرح الحيتان وأسماك القرش والثعابين
والاخطبوطات ... تأكل بعضها بعضا وتطارد بعضها بعضا
في سعار لا ينتهي .

وكذلك يبدو وجهك في المرأة هادئا وديعا صافيا وفي
داخل نفسك تصطرع الفيلان وتشتعل الرغبات وتتأجج
الفرائز وتضطرم الاحقاد .

ولكن انت ايضا كالبحر اذا تجاوزت الاعماق التي
تصطرع فيها الحيتان وصلت الى سكون القناع حيث
الاصداف واللالى والمرجان ... وكذلك نفسك اذا تجاوزت
فيها منطقة الفرائز وصلت الى منطقة الروح حيث ترفرف

السكينة ويتلألأ ضياء الحكمة وتتفجر المحبة صافية من بين
يدي الخالق الرحيمتين •

ويقول لنا الخالق انه قريب ... قريب جدا ..
أقرب إلينا من حبل الوريد .. أقرب إلينا من الدم في
شراييننا .. فهو على عتبة روح كل منا •

وينكر فرويد هذا الكلام عن الروح ..
وينكر ان في النفس منطقة روحية تعيش فيها
السكينة وتنشر الحكمة والمحبة انوارها ... وهو لا
يعترف الا بالاعماق السوداء الحيوانية التي تصطرع
فيها غيلان الفرائز ويقبض فيها سلطان الشهوة على كل
شيء •

والذي يتابع ما يجري في أوساط علم النفس في
أوروبا والغرب يجد ان نجم فرويد قد غرب تماما من أفق
علم النفس ولم يعد أحد يتكلم عن نظريته البائدة في الحافز
الجنسي •

ومع ذلك ما زلنا نجد لفرويد نفس الهالة القديمة
في نفوس شبابنا ربما لنقص او كسل في المطالعة والمتابعة
وربما لان نظريته في الحوافز الجنسية تجد استجابة عند
الشباب المراهق اكثر من النظريات الاخرى الاكثر عمقا
وتجريدا •

ولا شك ان القول بأن الانسان بلور في فلك حول

غريزته الجنسية هو قول مريح جدا بالنسبة لشباب في مرحلة
مراهقة كل هرموناته وحواسه تدفعه دفعا الى التفكير في
المنطقة التناسلية من جسده .

ولكن هذا الشخص ذاته سوف يغير رأيه في فرويد
وفي نفسه حينما يبلغ أوج رجولته وتتسع اهتماماته وتنطلق
عواطفه وافكاره خارج أسار غرائزه لتحلق في آفاق
أوسع وأرحب .. ويجد نفسه يفكر ويتصرف بطريقة غير
جنسية فيقاتل ويموت من أجل مبدأ ولا يفعل ذلك ابدا من
اجل امرأة .. ويحلم ويقلق من اجل تلك الافكار والمبادئ
ولا يحلم ابدا بالاثداء والنهود والحلمات .

واكبر مطعن على صحة النظرية الفرويدية هي الطريقة
التي استنبطها بها فرويد .. فهو باعترافه قد جمعها من افواه
مريضات الهستيريا المترددات على عيادته ومن واقع دفتر
احوال حفنة قليلة من ضحايا القلق والاعصاب والماليخوليا
والنورستانيا .

ومن هذه الحفنة القليلة المريضة خرج علينا باستدلالات
حاول ان يعممها على الاسوياء الاصحاء ويجعل منها منهج
سلوك الانسانية كلها .. وهو اسلوب غير علمي .
والقول بأنه كلما شاهد أحدا في الحلم حفرة فانه
يعني بذلك العضو التناسلي لامرأة وكلما أمسك بقلم في
الحلم فهو انما يمسك بعضوه التناسلي .. لمجرد ان هذه

التفسيرات انطبقت على مريضة بالهستيريا هو السذاجة
بعينها •

والقول بأن الطيران في الحلم رمز لمزاولة العسلة
الجنسية لمجرد تداعي هذه الصورة في ذهن مريضة
بالماليخوليا •• هو سخافة اخرى •

ولماذا لا يكون الطيران رمزا للنطلع الى الاسى
والاعلى •• لماذا لا يكون رمزا للتحرر من قيد الجسد ••
لماذا لا يكون رغبة في التحليق بالفعل كما ينداعى في
اذهانتنا نحن الاصحاء •

وفرويد يمضي لاكثر من ذلك فيقول ان هوايه جمع
طوابع البريد ما هي الا تنفيسا باطنيا لرغبة طفلية هي هوايه
الطفل لقبض الشرج ليحتفظ بالبراز داخله تلذذا واستمتاعا •

وليست طوابع البريد الا البديل الرمزي للبراز وجمع
الطوابع هي اللعبة الجديدة التي يزاولها العقل الباطن بدلا
عن قبض الشرج •

وسخافة الاستنتاج وسخافة التعميم واضحة •

ونعرف كيف وصف فرويد تلذذ الرضيع بحلبة الثدي
بأنه تلذذ جنسي مع ان هذا النوع من التلذذ يستحيل
الشعور به الا بعد البلوغ •• وهي حقيقة فسولوجية
أولية •

ولكن فرويد لم يبن نظريته على الحقائق وانما بناها على الاعتساف والتخمين •

والى القراء من هواة فرويد ممن صدقوا معه ان الهستيريا والجنون والعصاب اسبابها الكبت الجنسي أقول .. لماذا في بلد مثل السويد حيث لا كبت جنسي ولا حتى وازع ديني وحيث المشكلة بأسرها محلولة والمتعة الجنسية مباحة متاحة يمارسها الكل بلا حرج .. لماذا تقول لنا الاحصائيات الرسمية انه في ذلك البلد السعيد نجد أعلى نسبة للجنون والانتحار في العالم •

واين كلام فرويد من كلام الاحصائيات الدامغة •

ان اصرار فرويد على رد كل نشاط الى أصل جنسي هو في ذاته شهادة على تعسفه .. الفن في نظره تسامى بالطاقة الجنسية وتغزل في الاثني بالشعر والموسيقى .. حتى الدين في نظره عبارة عن اعتذار للاب (الذي يزغب العقل الباطن في قتله والخلاص منه للانفراد بمشوق الام) .. ومن ثم يكون الدين اعتذارا للاب في الارض وللاب في السماء بتقديم فروض العبادة •

كل ما هو مستطيل في الحلم فهو عضو الرجل

وكل ما هو مستدير فهو عضو الاثني •

وكل حركة في الحلم هي رمز للعملية الجنسية الجري

المشي التسلق السباحة ركوب البسكليت القفز الطيران ..
كلها رموز للعملية الجنسية •

هذا التعميم والتبسيط الساذج لا يمكن ان يكون
مقبولا من عقل علمي .. ولا يمكن ان يقول به الا عقل
مريض •

وهو رد الفعل الطبيعي من العقلية اليهودية المضطهدة
في محاولتها لالقاء القاذورات على وجه الانسانية كلها
وتصوير الدنيا في صورة جبالية قروء •

لقد كان فرويد مريضا شأنه شأن مرضاه تماما •
والقصة التي رواها زملاؤه عن علاقته بزوجه وكيف
انه لم يكن يقربها وكان يعيش معها في حالة تطهر مسيحي
رهباني تؤكد ذلك •

اما كلام الفرويديين المتحمسين عن نجاح التحليل
الفرويدي في علاج المرضى فانه لا يقدم حجة .. فالتحليل
باسلوب ادلر نجح في علاج نفس المرضى .. والتحليل
باسلوب «يونج» نجح في علاج نفس المرضى .. وهي
نكتة اشبه بما كانوا يقولونه لنا في كلية الطب عن مرض
الانفلونزا الذي يشفى بالادوية في اسبوع ويشفى بدون
ادوية في سبعة أيام •

وسر النكتة ان مريض النفس يشفى بمجرد الافشاء
والافشاء والتعاطف الحميم مع أي انسان على أي مذهب

وعلى أي منهج .. لان سر الشفاء هو في مجرد الاحساس
بالصدقة والثقة والتعارف الحميم والاحترام الذي يفقده
المريض في بيئته .

ولا دخل للهذيان الفرويدي في الشفاء .
وللذين يتصورون مع فرويد ان المشاعر الدينية
مصدرها الكبت .. تقول .. ان الشعور الديني لم ينتظر
الكبت ليولد .. وانه ولد منذ حياة الغابة ومنذ المشاعية
البداية التي لم تكن فيها حرمان ولم يكن فيها كبت ..
لانه احساس الفطرة بأن هناك خالقا وصانعا وموجها
لكل شيء .

والفطرة كانت دائما المؤشر الذي لا يكذب ..
والذي كان يشير الى الحقيقة باصبع ثابتة احيانا ، مرتجفة
احيانا .

قد تهتز اليد التي تشير فيختلط على العقل فكرة الدين
بالاسطورة والحقيقة بالخرافة فيعبد الشمس وينسب
خالقها ويعبد الرمز وينسب الرموز له .. ولكنه يصل في
النهاية الى الطريق السليم بعد رحلة البحث والتخبط ويضع
يده على الحق الذي لا ريب فيه .

والطب بدأ على صورة تعاويد واساطير .
وتاريخ الطب القديم هو الخرافة بعينها .
ومع ذلك لم يقل أحد بان علينا ان نرفض الطب
الحديث لمجرد انه بدأ على تلك الصورة البدائية .

وبالمثل لا يمكن لاحد ان يرفض الدين لمجرد انه بديلي.
في القديم على شكل اساطير .

ان الحقيقة لا يمكن ان تكتشف دفعة واحدة ..
وانما خطوة بخطوة تسنصفى من الاساطير والالغاز والاحاجي
وابراهيم النبي بدأ بالاعتقاد ان الممر هو الله فلما
غرب قال بل الشمس هي الله فلما أفلت قال اني لا أحب
الآفلين .. لا يمكن ان تكون كل هذه الظواهر الني تأفل
هي الله .. بل هي مجرد ظواهر مخلوقة .. والله الحق
هو خالقها جميعا .

لقد مر بنفس مراحل اكتشاف الحقيقة بادئا بالوثنية
حتى انتهى الى التوحيد .

وهكذا نرى ان تاريخ الاديان بكل ما فيه من اساطير
لا يمكن ان يكون مطعنا على الدين الحق . وانما هو رحلة
العقل في مسراه ومعراجه نحو ادراك الحقيقة .. وهي رحلة
شائكة يتخبط فيها العقل ويتوه الوجدان وتدمى الاقدام
ويضل المسافر ويصطدم بالعديد من الازقة المسدودة قبل
ان يهتدي الى الطريق المستقيم .

وما كلام فرويد الا زقاقا من تلك الازقة المسدودة التي
يتوه فيها العقل ويضل الوجدان ويتكس الاسوياء عائدبن
الى مراعتهم الاولى .

حينما تعجز الكلمات

الذي جرب ان يصطحب طفله الصغير في نزهة لا شك
قد عرف هذه الحيرة التقليدية التي يقع فيها كل أب حينما
يسأله ابنه عن الشجرة التي تقف على باب الحديقة ...
ما هي؟ .. فيقول الاب .. هي شجرة ... فيسأل الطفل
وما الشجرة ... فيقول الاب انها نبات .

- وما النبات يا بابا ؟
- ما ينبت الى فروع واوراق وجذور .
- وما الجذور يا بابا ؟
- هي شيء كالارجل للنبات ...
- وما حاجة الشجرة الى ارجل يا بابا ... وهل
الشجرة تمشي ؟
- انها تحتاج الى الارجل لتقف طول الوقت .
- ولماذا تقف الشجرة طول الوقت يا بابا لماذا لا تقعد
وتنام مثلنا ؟

— هي تنام واقفة •
— وهل النجده صاحبة الان ام نائسة ؟
وبينما يفكر الاب في مخرج من المأزق ... يفاجئه
الطفل بسؤال اخر اكثر تعجيزا :

— ولماذا سموا الشجرة شجرة يا بابا ؟
ويستقط في يد الاب تماما ولا يجد مفرا من ان ينهر
الطفل بشدة ويأمره بأن يعلق فمه ولا يسبب له الصداع ...
ولكن بينه وبين نفسه يكون قد اكتشف ان طفله على
صواب وانه جاهل مثل طفله بحقيقة الشجرة ولا يعرف عنها
الا انها شجرة ... ولا يدري لماذا سموها شجرة ... ولا
ما الشجرة في ذاتها •

انه من كثرة ما ترددت امامه كلمة الشجرة ومن كثرة
ما ردها هو نفسه في عباراته خيل اليه انها تعريف واضح
مقنع وانها تدل على مدلولها •
وما فعله الطفل هو انه هتك ستار هذه الالفة فاذا
بالاب يفتق على ذهول ... واذا بالكلمة مجرد اصطلاح
... مجرد بطاقة ... مجرد شيفرة ... مجرد حروف ...
شأنها شأن نمره نحاسية على صدر مسجون ... اطلقنا
عليه المسجون نمره ٨

لكن ما معنى المسجون نمره ٨ ؟
لا معنى هنالك ...

انه رقم شيفري لا اكثر .
وبالمثل فلان الذي اسمه «منير» .
ما معنى « منير » .
انه لا اكثر من اسم اصطلحنا على انه لفلان .
ولكن لا احد يعرف معنى «منير» وحقيقته وماهيته .
حتى «منير» لا يعرف شيئاً عن حقيقة نفسه .
وبالمثل كل ما في الدنيا من كلمات .. هي مجرد
اصطلاحات وحروف شفرية لا تختلف عن حروف
او ج.ع.م ٠٠٠ في الدلالة على
مقصودها .

وهذه الحادثة البسيطة تكشف لنا افلاس اللغة
ودورها المحدود ... فهي لا اكثر من واسطة شفرية
اصطلاحية للتفاهم حول موضوعات العالم الخارجي مثل
كوب وزجاجة ومائدة وكرسي وشجرة ...
فاذا وصلنا الى داخل الانسان او الى ماهية الاشياء
فان اللغة تفلس تماما ... ولا يعود لها دور .
وفي اعماق الروح لا تعود اللغة قادرة على وصف
المكنون الروحي والتعبير عنه .
وكلنا جربنا حالات من الحب عجزت الكلمات عن
وصفها .

ولحظات من الوجد الصوفي عجز فيها اللسان امام
واروع القلب وتشوف الوجدان •

وعرفنا اوقاتا كان الصست فيها ابلغ من الكلام •
وفي داخل الروح مسلكه المعنى •
لا حروف ولا كلمات •

وانما السر .. والمعنى .. والجوهر .. والمكنون •
ويبدو اننا بعد القيام من الموت وبعد ان نبعت ارواحا
سوف نتخاطب بالمعاني والمشاعر مباشرة بدون وساطة
الحروف •

وكما يقول الصوفية في تسييحاتهم عن الله ... انه
السميع بلا سمع والبصير بلا بصر والمتكلم بلا كلام أي بلا
حروف ... أي انه يلقي المعنى في النفس مباشرة ...
وهذا شأن عالم الروح في جلاله •
وهذا شأن فرحة الروح الطيبة عند لقاءها بربها •
ستكون فرحة بلا لسان وبلا كلمات لانها اعظم من
حجم الكلمات واروع من كل اللغة •

العيال الذين ظنوا أنفسهم كبارا

احيانا تراودني الرغبة في البكاء مثل طفل صغير يتيم
تاهت عنه امه في الزحام .. واشعر في تلك اللحظات اننا
جميعا اطفال .. لا فرق كبير يذكر بيننا وبين اطفالنا في علمنا
ومعارفنا واخلاقنا •

يخيل الينا اننا اخترقنا السماوات بعلمونا .. ولو
فكرنا قليلا لوجدنا اننا ما زلنا في حروف ا ب ت ث ..
واننا كأولادنا على عتبة واحدة من الحيرة والتساؤل
والجهل •

يقول لك طفلك وهو يشاور على القمر .. من أين
جاؤوا بهذا القمر يا أبي ..
وتجاوب عليه بكلام كثير .. وتتلو عليه نظريات
وافتراضات .. خلاصتها انه لا احد يعرف الحقيقة .. ولا
حتى أينشتين نفسه •
ويسألك طفلك عن جده الذي مات أين ذهب بعد
موته •

وعن أخيه الذي ولد أين كان قبل مولده ..
فلا تعرف جوابا ..

فلا احد يعرف ماذا قبل الميلاد ولا ماذا بعد الموت ..
ولا من أين .. ولا الى أين ..

ويشاور لك على الكهرباء ويقول ما هذا .. فتقول
الكهرباء ..

ويسألك ما هي الكهرباء فلا تجد جوابا ..
ويسأل من أين أتت الكهرباء ..

فتحكى له حكاية طويلة عن ماكينات النور ووابور
النور .. وانت لا تدري ما النور .. ولو سألت علماء
الطبيعة كلهم ما وجدت فيهم واحدا يستطيع ان يدللك على
ماهية النور وكنهه ولا حتى نيوتن ولا أفوجادرو ولا
فاراداي ..

وما أجهلنا على الدوام ..
ابتكرنا علم النفس وكتبنا فيه المراجع ونحن لا ندري
ما هي النفس ..

واخترعنا الساعات لنقيس الزمن ونحن لا نعرف ما
هو الزمن ..

وسكننا الارض من ملايين السنين وما زلنا لا نعرف
عنها الا قشرتها ..

• نجتمع شهود الحادثة الواحدة فيختلفون في روايتها

ويحدثها كل واحد بصورة .. وهذا شأن الحادثة التي لم
نسر عليها ساعة فما بال التاريخ الذي مر عليه الوف السنين
وكتبت فيه المجلدات .. وكلها نخيل .
وما ابعدا دائما عن الحقيقة .
وما أقل ما نعلم .

وما اقرب الفارق بيننا وبين اطفالنا في علمنا ومعارفنا .
بل ما اقرب الفارق بيننا وبين اطفالنا في اخلاقنا نحن
الاوصياء والمربون .. وكل منا يختصن املاكه كما يختصن
الطفل لعبته ولا يطيق ان تمسها يد متنفع .

وفينا البخيل والشره والاكول والطماع ومن يسيل
لعبه على المليم .

والطفل يخطف والكبير يسرق .
والطفل يضرب والكبير يقتل .
والطفل يمد يده بالايذاء والكبير يمد عصاه وسكينه .
والطفل يرمي بحصاه .. والكبير العظيم يرمي بقنبلة
ذرية .

الا يحق لي بعد ذلك ان ابكي على هذا العالم من
العيال الذين ظنوا انفسهم كبارا !!

عالم الغيب

انت تصادف اليوم نوعا من الناس تجد الواحد منهم يتأبط كتابا ضخما بالانجليزية او الفرنسية ويبرز من فمه سيجار ضخمة ينفث الدخان كمدخنة مصنع في لانكشاير فاذا رفعت يدك بالتحية رد عليك باللاتينية وبلسان معوج يتكلم برطانة اوروية ... ومع الدخان المتصاعد والفتات المتناثر من عدة لغات يقول لك في نبرة كلها انبعاث وخيلاء:

— هل قرأت ما يقوله جوستاف لوفافر في الدوجماطيقية والفكر الاستاطيقي والتدهور الرومانطيسي والانحرافات السيكوباتية في المجتمعات الشيوقراطية ... في ملحق مجلة « الميتافيزيقا » ... انه مقال رائع (ويقلب شفتيه)

... مالنا تقف هكذا وسط الطريق ... دعني ادعوك على كأس في الهورس شو ... تعال ... سيكون حديثا ممتعا على أكواب البيرة •

فاذا اعتذرت له بانك صائم ... حمله في دهشة
كأنه يستمع الى كلام دنياصور منقرض ... وفقر فاه
تماما ثم قهقه ... بل انفجر ضاحكا وكأنما ظفر بمعتوه
هارب لتوه من مستشفى المجاذيب :

— تقول انك صائم ؟

وعاد يقهقه هذه المرة في اشفاق :

— وهل هناك من يصوم هذه الايام ... هل تعتقد
حقا في هذه ال ... ثم اشاح بيده استخفا فالمسألة لا
تستحق عنده ان يبحث لها عن اسم .
وهو يقصد طبعاً ... هذه الاديان ...
والخرافات ... والاساطير .

— هل تصدق حقاً انك سوف تموت ثم تبعث وتصحو
من قبرك وتحاسب ... وان هناك اله .

ثم راح يتلفت حوله متسائلاً :

— اين هو

يقصد ... اين الله ... وكأنه يبحث عن سائق
تاكسي .

— أتصدق هذه الغيبات ... اما زال هناك من
يصدق هذه الغيبات في عصر النور والعلم ... أفق يا
رجل من هذه الدروشة ... تعال ... لتكن الدعوة على
كأس ويسكي لا بيعة وتكن معها شريحة لحم خنزير
رائعة .

ويحمل عليك حملة شعواء بجياع اللغات لدرجة
تفقدك التوازن وربما الثقة بالنفس فتعود لتتعلل في خجل
بانك ممنوع من الاكل والشرب بسبب التهاب في المعدة...
ويسوق هو في فلسفته :

— يا اخي نحن في عصر العلم ... ولا يصح ان
نستسلم لهذه الغيبات ... ولا يصح ان تؤمن بشيء الا
اذا امسكناه بحواسنا الخمس ... ورأيناه بالميكروسكوب
وشاهدناه بالتلسكوب ورصدناه بالرادار والتقطناه
بالراديو ... لا يصح الايمان بغيب ... هذا امر انتهى .
الغيب امره انتهى وهو الان شغلة السذج ... هي
كلمات نسمعها الان عادة من هؤلاء المثقفين .

ولمثل هؤلاء المثقفين من اصحاب السيجار والياقات
العالية والرطانة الاوروبية اقول في هدوء :
— بل هذا العصر هو عصر الغيب... والعلم ذاته
هو اعتراف بليغ بالغيب ... والا فليقل لي واحد من
هؤلاء العلماء .. ما هي الكهرباء ... اننا تكلم عن
الكهرباء ولا نعرف عنها الا آثارها ... من حرارة وضوء
ومغناطيسية وحركة ... اما الكهرباء ذاتها فهي غيب ...
تتكلم عن الالكترود ونقيم صناعات الكترونية ولا نعرف
ما هو الالكترود ... فهو غيب ... ونطلق الموجة
الاسلكية ونستقبلها ولا نعلم عن كنهها شيئا ... وهي

بالنسبة لنا غيب ... بل ان الجاذبية التي تمسك بالارض
والشمس والكواكب في افلاكها وهي اولى البدايات ...
هي ذروة الغيب ...

والعلم لا يعرف الا كميالت ومقادير وعلاقات ..
ولكنه لا يعرف كنه ولا ماهية اي شيء .
انت تعرف طولك وعرضك ووزنك ومواصفاتك ...
لكن ذاتك ... نفسك ... روحك ... لا تعرف عنها
شيئا ... انها غيب ومع ذلك هي اكثر واقعية من اي
واقع ...

واذا كان الواحد منا لا يعرف ذاته فكيف يدعي
المعرفة بذات الله ومن باب اولى كيف ينفيها ...
وحينما يقول المفكر المادي ... في البدء كانت
المادة .. في البدء الاول قبل الانسان والحيوان
والنبات ... ألا يكون كلامه هو الجرأة بعينها على منطقة
زمنية هي الغيب المطلق ...

وحينما يقول ... نضحي بالجيل الموجود في سبيل
جيل لم يولد بعد ... الا يكون معنى كلامه ... التضحية
بالواقع في سبيل الغيب .

صدقوني نحن في عصر الغيب ... بل للأسف نحن
في عصر الزنا بالغيب والدعارة بالعلم على يد اصحاب
السيجار والياقات العالية والرطانة الاوروبية .

الخي شفق نفسه بسلوك الكهرباء

روسيا وامريكا التقتا وتصافحتا في الفضاء ولم
تستطيعا ان تلتقيا على الارض •

الانسان قطع ربع مليون ميل الى القمر ولم يستطع
ان يقطع بضع خطوات لينقذ جارا له يموت في فيتنام
وكمبوديا والقدس •

المسافات بين قلوب الناس اصبحت اكبر من
المسافات بين الكواكب وكل يوم يزداد الاخ عن اخيه تجافيا
وبعدا •

انسان اليوم بدل ان يشغل نفسه بقتل الميكروبات
اصبح يزرعها ويسمنها ويربيها ثم يصنع منها قنبلة
ميكروبية ليلقيها على جاره •

ويجاوب عليه جاره بنفس اسلوبه ضاحكا في جنون •
— قنبلة ميكروبية •• وما جدواها •• لقد سبقتك ••
لقد اكتشفت غازا للشلل ارميه عليك فترقد مشلولا مثل

صرصور قلبوه على ظهره فيصنفق الآخر ويهمل كالمعتوه •
— ... قديمة .. انا عندي صواريخ مدارية تدور
الآن في فلك حولك واستطيع بضغطة واحدة على زر ان
انزل عليك الموت كالمطر •

فيخرج الآخر لسانه ساخرا ..
— هذه لعبة فات أوانها .. فقد اخترعت صواريخ
مضادة تصطاد صواريخك وتفجرها في الهواء •
فيهتف الآخر :

— لن تستطيع فقد بنيت شبكة مضادة ضد
الصواريخ المضادة •
فيقهقه صاحبنا :

— نسيت يا ابله انني بنيت شبكة ضد الشبكة ..
فيصرخ الاول :
— ها ها .. انت حمار .. تذكر ان عندي مخزونا
من القنابل الذرية يكفي لتمزيق القارة التي تسكنها •
فيصرخ الثاني :

— فلتذكر انت ايضا ان عندي مخزونا من القنابل
الايدروجينية يكفي لشطر الكرة الارضية كلها نصفين ..
واعجب ما في هذا الحوار الهستيري انه يجري
بالعلم والعقل والمخترعات والمبتكرات والافخاخ
الالكترونية .. وانه حوار ينزف ذها ودولارات وماركات
وروبلات وفرنكات بلا نهاية •

ورجل الشارع البسيط يمشي وسط هذه المظاهرة
جائعا عريانا قليل الحيلة لا يعرف بماذا يطلع عليه الغد .
هل هذا عصر العلم ؟
ام عصر الجهل ؟
ام انه جهل العلم ؟

الله يعطينا الكهرباء .. فماذا تفعل بهذه الكهرباء ؟!
انا لا تفكر كيف نحولها الى نور ..

ولكننا مشغولون طول الوقت في المعامل
والمختبرات .. تفكر كيف نحول هذه الطاقة الكهربائية
الى ظلام .

العالم يفكر في اذكى طريقة يلف بها سلك الكهرباء
على عنقه ليتنحر .
انه علم الجهل !
انه العلم الاسود !

ومثله مثل السحر الاسود الذي كان يحول به
سحرة فرعون العصي الى ثعابين .

لانه علم بلا دين !
وعقل بلا قلب !
لقد طالت مخالبتنا فاصبحت مخالبا نووية ..
ونمت انيابنا فاصبحت انيابا ذرية .

وظل قلبنا على حاله .. قلب حيوان الغاب ..
تطور الانسان الى تنين ..
والنهاية الان مرهونة بمن يبدأ الحماسة .. من يضغط
على الزناد قبل الآخر !
او من يفطن الى الكارثة فيفود التطور الى الاتج
المضاد .. الى اتجاه التسامي بقلب الانسان وروحه ..
دون اعتبار لقوة يديه ومثانة عضلاته .

حينما يصبح للمرأة ذيل

الذي ابتكر فكرة « الموضة » كان تاجرا ذكيا
جدا . فهو الوحيد الذي استطاع ان يقنع المرأة بان
تلقي جميع فساتينها بدون سبب .
اذا كانت فساتينها طويلة اخرج لها موضة قصيرة .
واذا كانت جميع فساتينها قصيرة اخرج لها موضة
طويلة .

وبهذه الخدعة اللطيفة يوشوش بها في اذنها في
حنان وكأن المصلحة هي مصلحتها - سيدتي ان فستانك
لا يتمشى مع الموضة .

استطاع ان يجعلها تلقي بفستانها الجديد الذي
اشتريته من شهر لمجرد انه ازرق والموضة بنفسيجي . . او
اصفر والموضة احمر . . او شوال والموضة ضيق . . او
ضيق والموضة واسع .

وألا عيب الموضة لا تنفذ في الضحك على ذقن المرأة

واثارة غروزها .. مرة تكشف لها صدرها ومرة تكشف
لها ظهرها ومرة تشلح لها ساقها ومرة تبرز لها صدرها
ومرة ترسم لها حلمة على السوتينان تخرق الفستان ..
ومرة تكشف النهر المثير بين الثديين .. ومرة تكشف كتفا
وتغطي اخرى •

من ايام الفراغة لايام العصور الوسطى للعصر
الفيكتوري لعصرنا الذري .. رحلة تثير العجب .. وتثير
الضحك •

الفرعونية التي كانت تلبس الشوال الضيق وتقول
لرجلها تغازله :

تعال انظر الي وانا خارجة من النهر •
وثوبي لاصق بجسدي يبرز كل تفاصيله •
الى زوجة لويس الرابع عشر التي تضع على رأسها
ريشة وتلبس لحافا وبطانية ومشدات واحزمة وزنها طن •
الى امرأة الواحات التي تلبس المجرجر والخلاخيل
والشخاشيخ وتضع في انفها حلقة •
الى الهندية التي تلبس الساري
والمصرية التي تلتف بملاية
والعربية التي تلبس العباية
والباريسية التي تلبس البكيني
وبنت اليوم التي تلبس الميني جيب والماكسي جيب

وتضع على عينيها نظارة ضخمة لها ضلفتين من الزجاج
كأنها قمرة سفينة •

لعبة اشبه بلعبة المهرج •

ولا استبعد ان تظهر موضحة جديدة تصنع للمرأة ذيلا
طويلا في مؤخرتها •• وان تدور المشاجرات في البيوت ••
وتهدد الزوجة زوجها بطلب الطلاق لانه لم يشتر لها ذيلا
لائقا مثل ذيول باقي صديقاتها •• وانها لا تستطيع ان
تمشي في الشارع بدون ذيل •• وان كل الناس يشيرون
عليها ويضحكون لانها فلاحه متأخرة تمشي بدون ذيل •

ان كل شيء ممكن في عالم الموضحة •

وهيافة الستات وذكاء التجار يمكن ان يؤديا بنا

لأي شيء •

والموضحة الان تحاول ان تستدرج الرجل •• بعد ان
جعلت منه اثني بقصات الشعر البناتي والقمصان المشجرة
والبنطلونات المحزقة •

ويبدو ان التجار يخططون للضحك على ذقن العالم

كله •

ولعلمهم اليهود الاذكياء •

ولو قالوا انها جزء من بروتوكولات آل صهيون
لصدقت •• فهي شيء اشبه بالمؤامرة للسخرية من الانسان
واستنزاف وقته وثروته واهتمامه واثارة شهوته وغريزته

ليظل في حال حيوانية باستمرار حتى يمكن ركوبه
واستغلاله كما يركب الحمار ويستغل وتقضى به الحوائج •
واكثر الموضات لا هدف لها سوى الاحتفاء بالغرائز
واثارة اشواقها وتجميل مكانم الفتنة المستورة ولقت
النظر بالالوان الباهرة والخطوط المثيرة والعطور المشهية ••
وهي دائما مؤامرة على الحواس لايقاعها في حبال الغريزة •
ولكني اغالي كثيرا اذا اتهمت اليهود وحدهم ••
فهذا امر قديم جدا قبل مجيء اليهود الى الدنيا •
والتاجر المستغل غير ملوم وحده في بناء هذا الصرح
من شرك المجاذيب •• وانما كل منا ملوم رجل وامرأة ••
حينما يترك عنقه لتقوده شهوته وغروره وليترك يد اليهودي
تدلك له ذلك الضعف لتستولي عليه وتستغله •• فيخر
كما يخر قط على الارض يهر ملتذا من الاصابع التي
تتحسسها ويسلم حافظة تقوده لتتشل •
صدقوني انه لامر مخجل جدا •• ذلك الشيء الذي
اسمه الموضة •

بيت النمل

هل فكر احدكم ان يدخل بيت النمل •
صدقوني انها ستكون زيارة مثيرة •• اكثر اثاره من
الصعود الى الفضاء والتجول على القمر •

ان النمل حشرة صغيرة جدا لا تزيد على ميللتر ومع
ذلك فهي مهندسة معمارية عظيمة تبني القلاع والحصون
والغرف والدهاليز والمخازن وتهندس بدرومات كاملة
تحت الارض •

وهناك نوع من النمل يمارس الزراعة •• فيزرع
نباتات عيش الغراب ويجلب له السماد من الاوراق
المتعفنة •• ثم يحصده عند نضجه ويخزنه في مخازنه •

وهناك نوع آخر من النمل ••• كيميائي متخصص ••
يمضغ الخشب ويحوله الى نوع من الكرتون ثم يبني
من هذا الكرتون طرزا هندسية معمارية عجيبة •
وهناك نوع ثالث من النمل الافريقي يبني بيوتا

تشبه المسلات ثم يحقق لها نوعا من تكييف الهواء بفتح
نوافذ سفلية لادخال الهواء البارد ونوافذ علوية لاجراج
الهواء الساخن •

ويعيش هذا النوع من النمل حياة طبقية عجيبة • • فنجد
فيه الملكة والاميرات والضباط ولكل منها مساكنه الخاصة
وباقى الخلية من العمال البروليتاريا تشتغل بلقمتها •

وهناك نوع اخر من النمل المحارب المقاتل الذي يهجم
في جيوش مثل التتار على هذه القصور فيقتل الجيش
والحراس ويستولي على مخازن الطعام والتموين وينقل
البيض ويتعهده في بيته حتى يفقس ويخرج منه التمل
الصغير فيجعل منه خدما وعبيدا في مملكته •

وهناك نوع اخر من النمل يعيش على الرعي • •
فيرعى قطعانا من حشرة المن ويحلبها ويعيش على افرازاتها
السكرية •

وللنمل لغة يتخاطب بها • •
وبدون هذا التخاطب ما كان يمكن ان يوزع الوظائف
ويقوم نظاما اجتماعيا تتباين فيه الاختصاصيات •
وعلماء البيولوجيا يقولون لنا ان النمل يتخاطب عن
طريق القبلات • • بلغة كيميائية خاصة يفرزها مع اللعاب • •
وبدل الحروف المنطوقة • • هناك درجات وانواع مختلفة
من المذاق •

وللنملة عقل تدبر به حياتها •
فهي تجمع في الصيف وتدخر للشتاء •
وتدبر ميزانية مجتمع كبير من النمل بلا عدد في
مواجهة ظروف من البرد والجفاف بالغة الصعوبة • •
واعجب ما في عالم النمل ان هناك نوعا يرفض الحياة
في مجتمع ونظام وخلايا ويختار ان يضرب في الافاق
ويهم • • كل حشرة تهيم وحدها • • تسكن كل ليلة داخل
ورقة ذابلة فاذا طلع النهار هجرت مسكنها ورحلت الى
مسكن آخر •

وهكذا تقضي حياتها تنتقل كل ليلة من جرسونيرة
الى جرسونيرة بلا مسؤوليات وبلا اعباء مثل حياة
الهييين •

عالم مدهش • • •
صدقوني ستعلمون الكثير اذا دخلتم بيت النمل •

كيف تكسب ألف جنيه فوراً

اطمئن ..

لن اقول لك اقطع الكوبون في اسفل الصفحة وارسله مع اسك وعنوانك مع الاجوبة على الاستفتاء كذا .. ولن احول الموضوع الى مسابقة تنفق عليها سيغال او اعلان توزع جوائزه رابسو •

انما الموضوع جد •

وسوف أفكر معك بجد •

ولنبداً من امثلة بسيطة •

وفي مثل هذا البرد الشديد لا بد انك فكرت كيف

تتدفأ •

وكذلك فكر الانسان البدائي عندما داهمته أول

موجة برد .. واعمل ذهنه .. وظل يخبط جبهته بيده

ويخبط حجراً بحجر وهو شارد .. واندلعت اول شرارة

مصادفة من صك الحجر بالحجر .. وخلق الإنسان

المذهول في هذه الظاهرة العجيبة •

ولا شك انه قد اتخذها بعد ذلك لعبة .. حتى
امسكت الشرارة ذات مساء بعود قش جاف واضرمته نارا
وتعلم الانسان منذ ذلك اليوم كيف يحتطب ويجمع
الاشخاب ويشعل النار .. ويرقص حولها ويطهو طعامه
ويتدفأ •

ثم اكتشف الفحم •
ثم اكتشف البترول •
ثم اكتشف الغاز الطبيعي القابل للاشتعال •
ثم اكتشف الكهرباء •
ثم اخترع جهاز التكييف •
وكانت اول ثروة طبيعية للانسان هي يديه وحيلته •
وعن طريق يديه صنع الادوات •
وبهذه الادوات قطع الاشجار وحفر الارض
لاستخراج الفحم •

وكان هناك رجل اكثر ذكاء اكتفى بالجلوس بعيدا
لا يعمل يديه في شيء وانما يأخذ ما جمعه العامل لبيعه •
ثم ظهر ناس اكثر ذكاء لا يفعلون اي شيء سوى ان
يقوموا بالوساطة بين الايدي التي تأخذ وتعطي ويقبضون
في مقابل هذه العملية سمرة تفوق ما يربحه العامل
والبائع •

ثم تعقدت أدوات الانتاج لتتحول الى مصانع •

واصبح المصنع هو قبعة الحاوي التي يوضع تحتها
التراب فيخرج منها حديدا واسياخا وصفائح صلب
وسيارات واجهزة تكييف .. مع ربح هائل يدخل معظمه
في جيب صاحب المصنع .

ثم ظهرت مؤسسات بهلوانية اسمها الشركات وظيفتها
الاعلان والتسويق والترويج والبيع والتجارة في تلك
المنتجات .. تقوم بالوساطة بين المصنع وبين المشتري
وتكسب من الاثنين اكثر مما يكسبه الصانع وصاحب
المصنع .

ولان المال السائل في قدرته ان يشتري المصنع
ويؤسس الشركة فقد اصبح رأس المال بذاته قادرا على
التوالد والتكاثر بدون ان يعمل صاحبه في شيء .. فقط
ما عليه الا ان يودعه في بنك فيلد له نسبة مئوية كل
سنة .. فاذا اقام به مصنعا او أسس به شركة فسوف
يحصل على نسبة اكبر من الربح .. واذا وقف يقامر به في
البورصة على اضطراب الاسعار نزولا وصعودا مع اختلاف
العرض والطلب ومع ازمات السياسة وحمى الفقر والغنى
التي تتداول الناس والشعوب فسوف يكسب اكثر من
الكل لانه سوف يتاجر في القلوس ذاتها وسوف يتاجر في
التجارة وفي سعر الذهب والورق الذي لا يستقر على حال .
والاغنياء الاذكياء الجدد الذين اشتروا بأموالهم كل

شيء مما كانوا يحلمون به من ارض ودور وقصور ومتاع
لم يقفوا عند حد لان ثرواتهم لم تكن تقف عند حد فبدأوا
يشتررون الذمم ثم يشترون الاحزاب والحكومات ثم
يحركون السلطة لصالحهم فيدفعونها الى تجييش الجيوش
وغزو البلاد المتخلفة واستعمارها لتكون اسواقا جديدة
ومصادر جديدة للثروة والقوة •

وآخر صورة محزنة من هذا الذكاء البشري هو
ما نراه الآن فالاقوياء الاغنياء لم يعودوا يفكرون حتى في
ان يحاربوا •• وانما اكتفت الدول الكبرى بان تصنع
السلاح ثم تبيعه للامم الفقيرة الصغيرة لتقتل به بعضها
بعضا •• وتطوع الاذكياء باشغال الفتن في هذه الدول
الصغيرة البائسة كلما نامت الخلافات او قدوا نارها •• بين
الهندوس والمسلمين في الهند وبين المسلمين والمسيحيين في
نيجيريا وبين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا ••
لتظل الحرب مشتعلة تأكل السلاح وتبقي على الصغار
صفارا وتجعل الكبار اكبر والاعنياء اغنى •

وبرغم صراع الاشتراكية ظل القانون القديم سائدا ••
ان من عنده يربح فيزداد •• ومن ليس عنده يخسر اكثر
فاكثر •• الكبير يزداد كبرا والصغير يزداد صفارا •

والعلم بتطوره السريع يهدد المتخلفين الذين يزدادون
تخلفا في معاركهم مع الكبار •• يهددهم بان يتحولوا الى

قروء .. بالنسبة الى الادوات العلميه التي تتطور في ايدي
الكبار فتحولهم الى عمالقة وانصاف ارباب .

والدول الكبرى لم تعد تتصرف بحكم المبادئ
والايدولوجيات .. وانما اصبحت تتصرف بحكم كونها
كبرى ويجب ان تظل كبرى وتصير اكبر في مواجهة دول
اخرى كبرى تحاول ان تكون اكبر ..

وفي حلبة الصراع بين الكبار .. تدوس الاقدام
الصغار .. وتدوس مصالحهم وتدوس حياتهم .
هل فهمت شيئا من هذه القصة
لقد فهمت شيئا من السياسة .

وفهمت ان الانسان كان يكسب دائما باستخدام
يديه وعقله وحيلته .. وان هناك طريقتين للكسب ان
تكسب بالحيلة الشريفة عن طريق عمل يديك وعمل عقلك
وأن تكسب بالحيلة الخبيثة عن طريق ايدي الآخرين
وعقولهم وان في الامكان أن تكسب الف جنيه بشرف ..
وذلك بان تقدم عملا او كشفا او اختراعا او امتاعا او نفعا
للناس يساوي تلك القيمة .. ولا عذر لك .. ولا يصح
لك أن تتعلل بان حظك من العلم قليل . فقد بدأ اديسون
المخترع العظيم حياته صبيا يبيع الجرائد ثم اخترع لنا
المصباح الكهربائي والجراموفون .. كما بدأ عالم الكهرباء
العظيم مايكل فاراداي حياته صبيا يعمل في محل تجليد

كتب ثم اكتشف قوانين الكهرباء التي اخترعت على اساسها
جميع اجهزة اللاسلكي فيما بعد •

واللاعب البرازيلي ييليه جمع ثروة هائلة من مجرد
اتقان الجري •• وأي اجتهاد في أي شيء ولو كان اجتهادا
في اللعب •• لا بد ان يؤتى ثمرته •
• اعمل بجد في اي شيء •
• واذا لعبت فالعب بجد •
• وابدأ فوراً من الآن •

لا تبرر كسلك بان العلم في المدارس والجامعات
وانت محروم من المدارس والجامعات •• فالعلم في الكتب
والمكتبات •• وهو متاح على الارصفة ارخص من علب
السجائر •

وهو في دور الكتب مجانا •
والقدرة على الابتكار موهبة اودعها الله في كل
عقل •• كل ما عليك ان تبدأ •

غادر مقعدك المؤلف على المقهى فوراً •• واكده
بذهنك ويديك في شيء • • ولا تظن ان الالف جنيه قد
وقعت على رأس اي واحد بمجرد التمني ودون ان يجتهد
في كسبها •

وتأكد ان تسخيرك لذكائك اسهل من تسخيرك للجن •
وثق بان مفعول ذكائك اقوى من مفعول السحر •

واذا شككت في كلامي فاقراً المقال من جديد لتعلم
كيف قامت دول كبرى .. وكيف صنع المصنع ما لا
تصنعه قبعة الحاوي .. وكيف صعد الانسان للقمر بدون
بساط سليمان .. وكيف انك مهدد بان تتحول الى قرد
اذا ظللت جالسا في جلستك اليومية على المقهى لا تجهد
ذهنك في شيء .. بينما العالم من حولك في سباق علمي
مرهيب يفض اسرار الذرة ويسخر القوى النووية في
صناعة الاعاجيب .. فيزداد الاقوياء قوة ويزداد الضعفاء
ضعفا .. الى ان يصبح المتخلفون في مكانة القرود او
اقل من القرود .

هل تشعر بانني خدعتك .

بل لو كنت قلت لك غير هذا لكنت خدعتك .

صدقني ...

التدليك العاطفي

نظرة سريعة على الافيشات والملصقات وافلام الحب
المرسومة على الجدران .. حب ودماء .. حب وضياح ..
حب تحت الشمس .. جنون الحب .. جريمة الحب ..
ليلة حب .. وصورة فخذ عريان في بانيو .. وامرأة ملقاة
في القراش وفوقها رجل .. وخنجر مغروز في صدر
عريان .. ومدفع رشاش في يد امرأة لابسة مايوه ..
ومروض وحوش في يده كرباج وتحت قدميه جينا لولو
برجيذا ومكتوب عليها رغبات شاذ .. ورجل في حضان
رجل ومكتوب عليه .. علاقة سرية .. وعجوز متم بحب
لوليتا في الثالثة عشرة من عمرها .. وحب سن الثمانين ..
وسفاح الحب .. ولهيب الحب .. ونار الحب .. ولذة
الحب ..

وما ابعد كل هذا الهذيان عن الحب ..
وما اشبهه بمؤامرة على اعصاب المتفرج وجيبه
وعقله ..

مؤامرة ابتزاز صريحة تحت شعار أنبل المشاعر
الانسانية .. مشاعر الحب .

لماذا لا يسمون الاشياء باسمائها الحقيقية ؟
ولماذا لا نقرأ الصور بدقة حتى لا نخدعنا العناوين ؟
لماذا لا نعترف اننا في عصر الترويج العلني للدعارة
والشذوذ والجريمة .. وان بلا توهات السينما تحولت الى
مخادع للتفرج المشروع على أساليب الاغراء الجنسي !

انه الجنس والدم .. ولا شيء آخر ..
وما أبعد الجنس عن الحب ..
وما أكثر ما يتم الجنس بلا حب .. بل وبع الكراهية
وما أكثر ما يتم شراؤه وبالمال .
ان الجنس والحب لم يكونا ابدا توأمين .
والحب الحقيقي هو قطعا شيء آخر غير ما نرى في
السينما .

انه في ذلك الحنان الذي رأيناه بين آباءنا وامهاتنا ..
وتلك المودة والرحمة اللتان تؤلفان بين قلب الرجل وقلب
المرأة وتصنعان تحالفا هادئا على عمل الخير وعشرة ناعمة
خالية من هذه التشنجات الدرامية التي نراها مدسوسة
علينا في التلفزيون والسينما .

هذه المآسي المفتعلة والمواجع المزيفة والانات
الجنسية والرعشات المخبولة هي بضاعة التجار وسلعة

المنتجين اليهود يدسونها لنا مع الافيون والهروين
والحشيش والماريجوانا وعقار L. S. D •

انها جزء من عملية واسعة لتخدير العالم تمهيدا
للسطو عليه •

وشركات التليفزيون والاذاعة والاسطوانات ودور
النشر والمجلات تسابقت في نشر هذه الحمى احيانا بقصد
واحيانا بغفلة ودون وعي كما يحدث في بلادنا •

واتشرت الاغاني التي تقوم بهذا النوع من التدليك
العاطفي امثال ... من سحر عيونك ياه .. وتنطقها
المطربة .. من سحر عيونك يا ح ..

وتعال يالله يالله .. تعال يالله يالله .. في غمضة عين •

وننام على حب ونقوم على حب •

وعذبي وانا اجري وراك •

ويا مدووبي دوب •

وهي اغاني لا تختلف كثيرا عن اغنية كرستين التي

تصرخ فيها كرستين بصوت هامس اجش فيه فحيح ..

اوه يا حبيبي •

مرة أخرى أرجوك •

ثم نسمع في المانيا عن الهر يواخيم درسين صاحب

مجلة « سانكت باولي تسايتونج » وكيف انه انشأ حزبا

في هامبورغ اسماء « حزب الحب » وشعار الحزب هو

الحرية الجنسية للجميع .. الرجل يتزوج الرجل والمرأة
تتزوج المرأة والازواج يتبادلون زوجاتهم في الفراش
والاولاد والبنات يتدربون على الجنس من سن التاسعة .
وحبوب منع الحمل والحبوب المهيجة توضع في بطاقات
النموين وتوزع مع السكر والزيت والشاي وشعار الحزب
هو « الجماع بدل الحرب » فتزحف الشعوب بعضها على
بعض ليجامع رجال شعب نساء الآخر في مؤتمرات للذة
بدلا من زحف الجيوش للحرب .

ومجلة الهر يواخيم تباع مليون نسخة .
وهناك ثلاثة آلاف الماني والمانية يدفع كل واحد
عشرة ماركات اشتراكا شهريا ورسم ولاء وانضمام لهذا
الحزب .

وسكرتيرة الهر يواخيم فتاة جميلة تستقبل الزوار
عارية .

وهذه نهاية التدليك العاطفي .. المؤامرة التي رسمها
التجار الاذكاء للقضاء على العالم .

انت امبراطور

لا تصدقني اذا قلت لك انك تعيش حياة اكثر بدخا
من حياة كسرى انو شروان .. وانك اكثر ترفا من
امبراطور فارس وقيصر الرومان وفرعون مصر .. ولكنها
الحقيقة .

ان اقصى ما استطاع فرعون مصر ان يقتنيه من
وسائل النقل كان عربة كارو يجرها حصان ..

وانت عندك عربة خاصة وتستطيع ان تركب قطارا
وتحجز مقعدا في طائرة !

وامبراطور فارس كان يضيء قصره بالشموع
وقناديل الزيت .. وانت تضيء بيتك بالكهرباء !

وقيصر الرومان كان يشرب من السقا .. ويحمل
اليه الماء في القرب .

وانت تشرب مياهها مرشحة من حنفيات ويجري اليك
الماء النظيف في انابيب !

وهارون الرشيد كانت عنده فرقة موسيقية تعزف له
في أوقات لهوه وفراغه ...
وانت عندك مفاتيح الراديو توصلك الى آلاف الفرق
الموسيقية وتحمل الى اذنك المبهج والمطرب والممتع من كل
صوت وكل فن !

والامبراطور غليوم كان عنده أراجوز ..
وانت عندك تليفزيون يسليك بمليون اراجوز .
وعندك السينما سكوب والسينراما !
ولويس الرابع عشر كان عنده طبّاخ يقدم له افخر
اصناف المطبخ الفرنسي ..
وانت تحت بيتك مطعم فرنسي ومطعم صيني ومطعم
الماني ومطعم ياباني ومحل محشي ومحل كشري ومسمط
ومصنع مخللات ومعلبات ومربات وحلويات !
وقارون اغنى اغنياء العالم يقول لنا التاريخ ان كل
ثروته لم تكن تزيد عن مائتين من الجنيهات بالعملة
النحاسية ... وهو مبلغ تستطيع ان تكسبه الان في شهر .
وجواري الخليفة تجدهن الان معروضات في بيجال
بياريس بعشرة فرنكات للواحدة .. شقر وسمر وسود
وبيض من كل لون او كازيون .
ومراوح ريش النعام التي كان يروح بها العبيد على
وجه الخليفة في قيظ الصيف ولهيب آب عندك الان مكانها

مكيفات هواء تحول بيتك الى جنه بلمسة سحرية لزر
كهربائي !

• انت امبراطور •

وكل هؤلاء الاباطرة جرايع وهلافيت بالنسبة لك ..
ولكن يبدو اننا اباطرة اغبياء جدا .. ولهذا فنحن
تعساء جدا برعم النعم التي نمرح فيها •

فمن عنده عربة لا يستمتع بها وانما ينظر في حسد لمن
عنده عربتان .. ومن عنده عربتان يبكي على حاله لان
جاره يمتلك طائرة .. ومن عنده طائرة يكاد يموت من
الحقد والغيرة لان اونا سبس عنده مطار .. ومن عنده
زوجة جميلة يتركها وينظر الى زوجة جاره •

وفي النهاية سرق بعضنا بعضا ونقتل بعضنا بعضا
حقدا وحسدا •

ثم نلقي بفضيلة ذرية على كل هذا الرخاء .. ونشعل
النابالم في بيوتنا .. ثم نصرخ بانه لا توجد عدالة
اجتماعية .. ويحطم الطلبة الجامعات .. ويحطم العمال
المصانع ..

والحقد وليس العدالة هو الدافع الحقيقي وراء كل
الحروب •

ومهما تحقق الرخاء للأفراد فسوف يقتل بعضهم
بعضا لان كل واحد لن ينظر الى ما في يده وانما سينظر

الى ما في يد غيره ولن يتساوى الناس ابدا •
فاذا ارتفع راتبك ضعفين سوف تنظر الى من ارتفع
اجره ثلاثة اضعاف وسوف تثور وتحتج وتنفق راتبك في
شراء مسدسات •

لقد اصبحنا اباطرة • • هذا صحيح • • ولكننا ما
زلنا نفكر بغرائز حيوانات •

تقدمنا كمدنية وتأخرنا كحضارة • • ارتقى الانسان
في معيشتة • • وتخلف في محبته • •

انت امبراطور • • هذا صحيح • • ولكنك اتعس
امبراطور • • •

وسوف تقتل نفسك وتترك بطاقة مضحكة تقول
فيها: اتحرت بسبب الفقر • • لم استطع ان اعيش امبراطور
في عالم كله من « السوبر اباطرة » •

الواقع الكذاب

ما نراه في الواقع ليس دائما هو الحقيقة ..
حتى ما نراه رأي العين ونلمسه لمس اليد ..

فنحن نرى الشمس بأعيننا تدور كل يوم حول
الارض ومع ذلك فالحقيقة ان العكس هو الصحيح
والارض هي التي تدور حول الشمس •
ونحن نرى القمر في السماء اكبر الكواكب حجما
مع انه اصغرها حجما •

ونحن نلمس الحديد فنشعر انه صلب متدامج مع
انه في الحقيقة عبارة عن ذرات متشورة في فراغ مخلخل
وبين الذرة والذرة كما بين نجوم السماء بمدا .. وما
بخيل لنا باللمس انه صلابة وتدامج هو في الحقيقة قوى
الجذب المغنطيسي الكهربائي بين الذرة والذرة .. نحن
نلمس القوانين بأصابعنا وليس الحديد •

ونحن ننظر الى السماء على انها فوق والارض على

انها تحت مع انه لا يوجد فوق ولا تحت .. والسماء
تحيط بالارض من كل جوانبها .

والهرم بالنسبة لنا شيء لا يمكن اختراقه مع انه
بالنسبة للاشعة الكونية شفاف كلوح الزجاج ترى من
خلاله وتنفذ من خلاله .

وصقيع القطبين الذي نظن انه غاية البرودة هو
بالنسبة لبرودة اعماق الفضاء جسيم ملتهب .

وفي الحقائق الإنسانية تكذب علينا العين واللسان
والاذن اكثر واكثر ... فالقبلة التي تصورناها في البداية
مشروع حب نكتشف في النهاية انها كانت مشروع سرقة .
وجريمة القتل التي احس الجميع انها ذروة الكراهية
يكتشف الجميع انها ذروة حب .

وما قد يبدو للزوج انه خيانة من زوجته لفرط
احساسها بجمالها قد يكون الدافع الحقيقي له هو احساس
الزوجة بقبحها وشعورها بالنقص تحاول الخلاص منه
باستدراج اعجاب الرجال والانتقال من خيانة الى اخرى .
وما تكتب عنه الجرائد بالاجماع على انه بطولة قد
يعلم البطل نفسه انه كان انتحارا .

وفي الحقائق الاجتماعية تتعقد الامور اكثر ويفرق
الحق في شبكة من التزييف تشترك فيها كل الارادات

ويصبح الحكم على الامور بظاهرها سذاجة لا حد لها .
وفي الحقائق التاريخية يكتب المؤرخون في كل
عصر ومن ورائهم السلطة وتكتب اقلامهم ما يريد الاقوياء
ان يقولوا .

وما اصعب الوصول الى الحقيقة ...

ان الوصول الى المريح اسهل من الوصول الى
حقيقة اكيدة عن حياة وردة تنفتح كل يوم عند نافذتك ..
بل ان الوصول الى ابعد نجم في متاهات الفضاء اسهل من
الوصول الى حقيقة ما يهمس في قلب امرأة على بعد شبر
منك ...

بل ان عقولنا تزين علينا حتى عواطفنا نفسها فنظن
ان حب المجد يدفعنا بينما هو الغرور وحب الذات ..
ونظن انها العدالة هي التي تدفعنا الى القسوة بينما هو
الحسد والحقد .

من الذي يستطيع ان يقول .. لقد ادركت الحقيقة؟
من الذي يجرؤ ان يدعي .. انه عرف نفسه ؟
ليس من باب التواضع ان نقول .. الله اعلم .
وانما هي الحقيقة الوحيدة الاكيدة في الدنيا ..
انا نجهل كل الجهل حتى ما يجري تحت اسماعنا
وابصارنا .

وبرغم جهلنا نتعصب كل فريق لرأي .. وقد تصور
كل واحد انه امتلك الحق فراح ينصب المشائق والمحارق
للآخرين *

ولو ادركنا جهلنا وقدرنا لا تفتح باب الرحمة والحب
في قلوبنا ولا صبحت الحياة على الارض جديرة بان
نحياها *

متى نعرف ؟

انا لا نعرف ..!!

الجمع والطرح

اكثر ما نرويه من قصص الغرام هي في نظري الوان
مختلفة من الصراع على السلطة .

الرجل يحب المرأة ليمتلكها ويعلن عليها الوصاية
والحراسة ويعطيها اسمه لتكون مجرد امتداد له .. وما
حبه الا اناية وقد وجدت لها اسما جديدا لطيفا مشروعا .
فادا اكتفى بها عشيقه في سلك حريمه فهو يحقق بها
رغبته الخبيثة في الظهور كدون جوان ذي فحولة ورجولة
لا تقاوم .

والمرأة هي الاخرى تحاول ان تسجنه بوسائلها ،
فتحاصره بالغيرة والواجب الزوجي والاولاد ، فاذا لم تجد
عيرتها بدأت تثير غيرته هو عليها لتجعل حياته جحيما
مشتعلا وانحصارا دائما في التفكير فيها وفيما تفعله واين
ذهبت ومن اين اتت ، وهدفها النهائي ان تسجن عقله كما
سجن هو جسمها ، فاذا لم تستطع ان تستولي على عقله

استولت على جيبه او جعلت منه سلما للشهرة ودعاوة ذائعة
عن انوثتها •

كل منهما يحاول ان يفوز بالسلطة •

انانية تحاول ان تبتلع انانية •

وغريزة تحاول ان تلهب غريزة •

صراع حيواني بالناب والمخلب والاعضاء التناسلية

نسميه كذبا وافتراء « الحب » ...

والنتيجة ان حاصل جمع الزواج يكون غالبا صفر ••

انه الواحد والواحد اللذان لا يؤديان الى اثنين ، وانما

يؤديان الى صفر •

المرأة التي تتخيل بعد الزواج انها ستكون لها

حريتان •• حاصل الجمع الطبيعي لحريتها وحرية زوجها ••

تفقد حتى حريتها الوحيدة •• والرجل الذي يتصور ان

حب زوجته سيكون طريقه الى حب الحياة والناس يكتشف

ان عليه ان يكره الناس وينفر من الكل وينعزل عن الدنيا

ليلقي بنفسه بين احضان زوجته ليكون حبيبا حقيقيا ••

وكأن الزواج هو حاصل طرح وليس حاصل جمع •

وبعد معركة دموية يكتشف الرجل في آخر العمر

ان ما كان يجري وراءه باسم الحب لم يكن حبا •• وانما

كان صراعا على السلطة •• من الذي يحكم ومن الذي

يرفع راية الاستسلام ؟

اما الحب فما اندر وجوده ..

الحب الذي يتسم بانفتاح كامل على العالم .. الحب الذي تكون المرأة فيه دليل الرجل .. والرجل دليل المرأة في رحلة الحياة .. لا يقف احدهما ليحيط بعنق الآخر ساعيا الى امتلاكه .. وانما كل منهما يطلق الآخر من قيده ساعيا الى تحريره .. حيث يكون موضوع الحب النهائي لكليهما هي الحياة ذاتها يجهدان فيها متشاركين بجهدهما ومساهمتها .. هذا الحب ما اندره !

وليس ما نرى حولنا في السينما وفي الكتب الا ذلك الحب الصغير الذي يتألف من الرجل والمرأة والجنس والفلك المقفل الذي يضمهما في عزلة عن كل شيء .. كل منهما هدفه وغايته هو الآخر .. ثم فراغ وعدم ولا احد .. وجوع لا شبع فيه ولا نهاية له .. لان ما يرتشفه الاثنان لا يروي الغليل فما يرتشفان سوى وهم اللحظات .

احيانا اشعر ان من عرفوا الحب في هذه الدنيا كانوا قليلين جدا .

وان المسيح احب كل الحب ، وغاندي احب كل الحب ، لان كلاهما اعطى ولم يأخذ وكلاهما اتسع قلبه لكل ولا لاحد .

هل يمكن ان تساعد امرأة زوجها ليكون غاندي يعطي نفسه للدنيا بدلا ان يعطي نفسه لها !

لا ادري .. ولا احب ان اتهم النساء جملة .. ولكني
لا اظن اننا يمكن ان نعر على كثيرات يرتضين لازواجهن
مصير غاندي .

وفي لندن ذاتها قلعة الحضارة وذروة العقل في هذا
العالم ، ما زالت المرأة تفكر بطريقة الرجل الشرقي الذي
يحتفل بالجنس والوجبة الطيبة والرصيد الوفير في البنك
والعربة الفخمة التي تقف على الباب !

وفي الريف الفرنسي ما زال الرجل يغار ويقتل
زوجته كأي رجل صعيدي .

وفي محاولة الرجل المتحضر ان يبحث عن الحب
الكبير وقع في الشذوذ الجنسي .

واذا به في الشذوذ الجنسي العشيق الاناني نفسه
الذي يغار ويطلق الرصاص على عشيقه الخائن .

الانانية استبدلت موضوعاتها وهذا كل ما حدث .
بدلا من ان تستهدف موضوعا طبيعيا .. استهدفت
موضوعا شاذا .. وهذا كل شيء .. مجرد تمرد (او هو
في الحقيقة منتهى الاستسلام والخضوع لاستعباد
الحواس) ..

الفرائز رفعت اعلاما مختلفة ولكنها الفرائز اياها .
اما الحب .. الحب الكبير .. فما زال شيئا نادرا ..
واحدى طرائف هذا العصر .

بعض التواضع

نحن في عصر العلم ما في ذلك شك .. صواريخ ..
طائرات .. اقمار صناعية .. ادمغة اليكترونية ..
ونحن في عصر الجهل ما في ذلك شك .. فكل هذه
الوسائل والالامات العلمية نستخدمها في قتل انفسنا وفي
التجسس على انفسنا •
والذي لا يقتل يقول في غرور .. انا الذي سوف
اسبق الى القمر .. انا شعب الله المختار .. انا على حق
والآخرون على الباطل .. انا اعطي .. انا اخترع .. انا
اصنع .. انا افضل .. انا ابيض .. انا جنس آري .. انا
جنس سامي ..
وبين الغرور والاستعلاء والكبرياء والعدوان يضيع
العلم ويفتضح العلم فاذا هو تفاخر الجهلاء بما يصنعون
من لعب اطفال •
واجهل الجهل .. ان نجهل امرا جوهريا واضحا
كالنهار •

ان يجهل العالم العظيم والمخترع العبقري انه
دخلق .. وانه يعيش على سلفة .. على قرض ..
السنوات القليلة التي يعيشها هي قرض وسلفة بأجل
محدود .. وانه لا يسلك هذا القرض ولا يستطيع ان يسدد
اجله .

كل « نبضة قلب » وكل خفقة انفاس .. وكل
خاطر .. وكل فكرة .. وكل خطوة .. هي قرض ..
سلفة .. هي قرش ينفق من الرصيد .
وهو رصيد لا نملكه ولم نبذل فيه جهدا .. وانما
هو عطاء مطلق اعطي لنا منذ لحظة الميلاد .
المخترع لا يخترع وانما يجيئه الخاطر كما ينزل ندى
الفجر على الزهر .

والشاعر لا يؤلف من عدم وانما يهبط عليه الهام
الشعر فيورق عقله كما يورق الشجر في الربيع .
فهل يمتلك الشجر ازهاره ام انها هبة الربيع .
والعلم ذاته هبة .

الكهرباء موجودة منذ الازل من قبل ان تكتشف
بملايين السنين وهي التي كانت تضيء السماء بالبروق
والصواعق .

نحن لم نخترع الكهرباء ولم تأت بها فهي موجودة .
وكذلك اشعاع الراديوم وطاقة الذرة ومغناطيسية
الحديد .

كل هذه كنوز موجودة تحت يدنا ...
وهي بعض الهبات التي وهبناها دون ان نطلبها •
نحن العلماء لا ندرك هذا •• واننا نقول اخترعنا
ابتكرنا صنعنا الفنا صنفنا •
ثم لا ندرك ما هو اخطر واكثر وضوحا وبداهة ...
ان العسر الذي نعيشه هو ايضا هبة لم نطلبها ولم نجتهد
فيها •

الجميلة لم تجتهد لتولد جميلة •
والقوي لم يجتهد ليولد قويا •
والحاد البصر لم يجتهد ليولد حاد البصر •
ونحن لا نقوم بصياغة هذا الشيء المعقد الملغز المعجز
الذي اسسه الجسد الحي ... واننا هو الذي يقوم
بصيانة نفسه بنفسه بأساليب محيرة •

نحن تنفق من شيك لا نملكه •• ومع ذلك تتبجح
طول الوقت •• ونقول •• نحن اخترعنا نحن صنعنا ••
نحن عباقر •• نحن عظماء •• نحن على حق والآخرون
على خطأ •• نحن بيض وهم حيوانات •• نحن جنس سامي
وهم جنس منحط ثم نقتل على ثروات لا نملكها ولا فضل
لنا فيها جميعا •

ولا فضل لنا حتى في تكويننا الجسماني •
نحن مجرد مخلوقات تولد وتسوت وتعيش على هبة

محدودة من الخالق الذي اوجدها ولو كنا نملك انفسنا
حقيقة لما كان هناك موت •

ولكن الموت هو الذي يفضح القصة •
هو الذي يكشف لنا ان ما كنا نملكه لم تكن نملكه •
الشيخوخة هي التي تفضح جمال الجميلة فاذا بجمالها
هبة زائرة مؤقتة لا حقيقة باقية •

ولكننا نحن العلماء نجهل هذه الحقيقة الاولى
الشاخصة ملء العين كشمس النهار •

ولو ادركنا هذه الحقيقة البسيطة لانتهدت الحروب
وحل السلام وملأت المحبة القلوب واشرق التواضع ليجمع
العالم في اسرة واحدة •

لو ادركنا هذه الحقيقة لالتفتنا التفاتة شكر الى
الوهاب الذي وهب •

هل اخطيء اذا اعتبرت هذا المصراظلم عصور
الجاهلية ١٩ •

يُوجا

سعيت وراء علماء التشريح لاعرف ما هو الانسان ..
سرت وراء المشرط وهو ينقب في الاحشاء والمصارين
واللحم والعظم .. وهو يفتح القلب ويتتبع الاعصاب حتى
نهايتها .. وهو يقطع المخ نصفين ثم يقطع كل نصف الى
نصفين •

وبعد ثلاثة آلاف صفحة من كتب التشريح لم أصل
الى شيء وكأننا فتحت حقيبة فوجدت داخلها حقيبة ثم
حقيبة وفي نهاية المطاف اكتشفت اني ما زلت واقفا في
مكانني ادق على الباب نفسه من الخارج ام الج الى الداخل
ابدا •

كنت طول الوقت اتحسس كسوة ذلك الانسان
لاكتشف ان القناع الذي يحجبه ليس ثيابه وحدها ..
وانسا جلده ثوب آخر .. ولحمه وشحمه وعظامه كلها
ثياب .. اما هو نفسه فبعيد .. بعيد .. تحت هذه
الاقمشة السمكة من اللحم والدم •

قالت لي كتب التشريح ان الانسان مجموعة من
الاحشاء في قرطاس من الجلد •
ولكنها لم تصف لي الانسان على الاطلاق وانما
وصفت ثيابه • اما قلبه ، اما عواطفه ، فانها ليست في تلك
الكتب •• انها فينا نحن الاحياء •

انها الزامر الذي ينفخ من الداخل في ذلك البوق
الجسدي الذي يتألف من الفم واللسان والشفيتين واليدين
والرجلين فتتطق وتتحرك كأنما هي دمي خشبية تحركها
خيوط خفية من وراء خباء •

انها العاطفة •• الارادة •• الروح •• النفس ••
ال انا •• سمها كما تشاء •• ولكنها دائما غاية الوحدة
والبساطة •

وراء هذا العديد المتعدد من الاعضاء هناك وحدة •
هناك دائما واحد فقط يتكلم من داخل المعمار
الجسدي المعقد التركيب المتعدد النوافذ والشرفات ••
واحد فقط بالرغم من هذه الالوف المؤلفة من الانسجة
والملايين بلا عدد من الخلايا •

فاذا نظرت الى الطبيعة حولك بما يتعدد فيها من
انسان وحيوان ونبات لمست مرة اخرى نوعا ثانيا من
الوحدة •• فهذا الشتيت المختلف من اشكال الحياة يخفي
وراءه وحدة •

ليست مصادفة ان تركيب جسمي وتركيب جسمك
واحد •

ولا هي مصادفة اننا نحن ، كلانا ، لنا رئتان مثلما
للحصان والحيوت والعصفور •• وان رقبة الزرافة على
طولها بها سبع فقرات مثل رقبتك القصيرة تماما •• وان
ذيل القرد لك ذيل مثله ضامر متدامج ملتحم ، في
مؤخرتك •• وبالمثل أجنحة الخفافيش هي أذرع مثل
أذرعك لها العدد اياه من الاصابع والعظام والمفاصل كل
ما تستاز به ان جلدها مشدود عليها كالستارة •

وانت والشجرة تتألفان من المواد ذاتها •• كربون
وماء واملاح معدنية •• وكلاهما تتحولان بالاحتراق الى
فحم •

وكل انواع الحياة تنهدم بالموت فتستحيل الى
تراب •

اكثر من هذا ، يقول لك الفلكي - ان هذا التراب
يحتوي على المواد نفسها التي تتركب منها الشمس والنجوم
والكواكب •• وانك مهما اوغلت في الساء بين النجوم
تجد دائما الشيء نفسه •• المواد ذاتها ••

كل العالم من مادة واحدة اولية •
لا يمكن ان تكون كل هذه مصادفات •
وانما هي اصبع تشير الى ان هناك وحدة نسيج في

هذا الكون المتسع العظيم ، وانه بالرغم من الكثرة الظاهرة والتعدد والاختلاف في الاشياء فانها في الواقع ليست مختلفة .. وانما هي مجرد عمائر ونراكيب مختلفة لشيء واحد .

كما تظهر الطاقة مرة على شكل كهرباء ومرة على شكل حرارة ومرة على شكل ضوء ومرة على شكل مغناطيسية ، وهي دائما الشيء الواحد ذاته .
الوحدة ..

هذا هو موضوع اليوجا .
والمعنى الحرفي لكلمة يوجا بالهندية هو « الاتحاد وادراك الوحدة في الاشياء » .. ان لا تنظر الى الدنيا على انها انا وانت وهو وهي وهم .. ثم تتقاتلون جميعا .. فهذه خدعة .. واتم جميعا واحد وما يقع للآخر يقع عليك من حيث لا تدري .. والالهم الذي توقعه بالآخرين يجرحك حيث لا تحس في اعماق الاعماق .
هذا الصراع بينك وبين الآخرين هو تخريب اساسي لفطرة واحدة .

اذا اردت ان تعيش بكل وجودك فعليك ان تفتح ذراعيك لتحتضن كل شيء .
وحيثما توجهت فلن تكون في غربة فالطبيعة حولك هي انت .. والناس هم انت .. والوردة هي انت .. والنجوم انت .

انت وانا وهو وهم شيء واحد •
هل تستطيع ان تدرك هذه الوحدة ؟
علوم اليوجا تقول انك لا تستطيع ان تدركها الا اذا
نحرت من تقاليدك .. واخضعت جسدك وعواطفك
وعرائذك وعقلك تماما •
اذا اردت ان تسمع صوت الواحد في داخلك فلا بد
من اسكات صوت المتعدد اولا .. لا بد من اسكات
صوت الجسد والنفس والغريزة والرغبة والعقل •
واخضاع الجسد تختص به علوم « الهاتايوجا » ..
وهي التمرينات الرياضية المعروفة •
واخضاع العقل تختص به علوم « الراجايوجا » ..
وهي تمرينات على التأمل والتركيز •
واذا استطعت اسكات كل شيء فسوف نسمع من
اعماق الصمت في داخلك صوت الواحد •
سوف تشعر بالقرابة الحميمة بينك وبين الاشياء ..
سوف يعزف في داخلك لحن الانسجام بينك وبين العالم
اذ تدرك التوافق العميق بين عناصرك وعناصره .. وتسودك
طمأنينة قدسية فلم بعد هناك داع للتعجل .. ما نفونك
باليمن سوف تحصل عليه باليسار وفي الهند يسمون هذا
الواحد « اتمان » .. وفي صلاة هندية قديمة لهذا الواحد
بقول الشعر السنسكريتي :
اذا ظن القاتل انه قاتل

والمقتول انه قتيل
فليس يدريان ما خفي من اساليبي
حيث اكون الصدر لمن يموت
والسلاح لمن يقتل
والجناح لمن يطير
وحيث اكون لمن يشك في وجودي
كل شيء حتى الشك نفسه
وحيث اكون انا الواحد
وانا الاشياء .

وكأنما شعر جميع المفكرين بهذا الواحد الخفي
وحاول كل منهم ان يعبر عنه بطريقته . . في فلسفة
شوبنهاور كان اسمه « الارادة » ، وفي فلسفة نيتشه كان
اسمه « القوة » ، وفي فلسفة هيجل « المطلق » ، وفي
فلسفة ماركس « المادة » ، وفي فلسفة برجسون « الطاقة
الحية » ، وفي الاديان السماوية اسمه الله . .
اتفقت جميع الاصابع التي تشير على ان هناك شيئا
داخل خباء ذلك الكون يحرك خيوطه . . وكل الخلاف هو
خلاف اسماء .

ولهذا تقول علوم اليوجا . . لا تحاول ان تسمي ما
لا يمكن تسميته . .

تأمل . . لا تنطق بحرف .
عليك بالاصغاء الى صوت الصمت .

اسرار الحروف

لكل حرف من الحروف سر ...

حرف مثل الحاء تجده يدخل في كل ما هو ساخن
ملتهب مثل .. حب ، حرب ، حريق ، حارق ، حار ، حراق ،
حريق ، حسى ، حرارة ، حامى ، حاك ، حكة ، والطفل
حينما يلسس سطحها ساخنا يصرخ في تلقائية .. أح ، لا يرد
على لسانه الا حرف الحاء ... فينطق الهاما بلا تعلم .

ان في ذات الحرف سر ومعنى .

وحرف مثل الضاد تجده يدخل في كلسات الشدة
والغلظة والاذى مثل .. ضر ، ضرر ، وضغن ، وضرب ،
وضراوة ، وضيق ، وضائقة ، وضنى ، وضنك ، وتضعضع .

ان في ذات الحرف سر لا شك فيه .

وحينما وقف المفسرون امام الحروف الواردة في
القرآن مثل الم ... كهيعص .. طسم .. ن .. ص ..
حاروا في معانيها واختلفوا .. البعض قال انها حروف
يتألف منها اسم الله الاعظم .. البعض قال انها صنوف من

القسم اقسام بها الله كما تقسم نحن بالكعبة والكتاب الشريف .. والبعض قال انها رموز كل حرف منها يرمز الى شيء .. الالف مثلا ترمز الى الله والميم ترمز الى محمد (صلعم) .. تماما كما نقول « صلعم » بدلا من صلى الله عليه وسلم ، وكما نقول ج.ع.م. بدلا من الجمهورية العربية المتحدة •

وبالبعض قال ان الله قدم بها السور ليقول لنا .. هذه هي الحروف التي خلقت منها القرآن •

وبالبعض قال .. لا أعلم •

ولكنني اعتقد ان مفتاح معناها فيما قدمت في بداية مقالي .. من ان كل حرف له سر ومعنى خاص به وذاتية .. كل حرف له مكان ومغاليق •

هل كانت مصادفة اننا نسمي الوالد في لغتنا العربية .. اب ..

وفي اللغة الفرنسية .. بابا .. وفي اللغة الزنجية .. بوبا ..

وهل هي مصادفة ان الوالدة باللغة العربية .. ام .. وبالانجليزية ماما .. وبالفرنسية مامون .. وبالزنجية .. موما ..

كما ان الكهف بالعربية كهف وبالانجليزية Cave وبالايطالية Cava .. وهو نفس النطق تقريبا •

انها ليست مصادفات •
انها التقت في التركيب بالرغم من اختلاف اللغات
لان الحروف لها ذاتية واحدة •
والحروف واحدة في جميع اللغات •
وهي مخلوقة ومنزلة من ضمن ما خلق الله وانزل
علينا •• معان واسرار وارزاق •• ونحن لم نخترعها
اختراعا •
والقرآن يقول لنا ان الله علم آدم الاسماء كلها •
والاسماء قد تكون اللغات او الحروف او المعارف
او العلوم او هي جميعها ••
وقد تعلست من طول التأمل الا استهتر بحرف ولو
كان حرفا واحدا •• فان الحروف تؤلف الكلمات ••
والكلمات تنقل الجبال وتهدم الامبراطوريات وتبني
حضارات وتذك حضارات •••
وكلمة تخرج من فمك قد يكون فيها موتك او ميلادك
والله خلق العالم بكلمة •• كن ••
وبين الكاف والنون ولد الكون ••
وفي الكاف الالهية اسرار ••
وفي النون الالهية اسرار ••
وبين الكاف والنون طلاس مطلمة لا علم لاحد بها
ونحن لم نكتشف من اسرار الحروف ووظائفها الا
اقل القليل ••

ومن الحروف التي نعلمها يمكن ان توجد لغات لا
نعلمها .. غير العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية وغير
اللغات التي تتبادلها على الارض ...
والحروف مثلها مثل الارقام جاءتنا الهاما من الواحد
الى العشرة .. لم نخترعها وانما ولدنا بها .. وبالمثل
اوليات الحساب *

$$2 + 2 = 4 \text{ حقيقة ولدنا بها} *$$

وكل ما يحدث في تعلم جدول الضرب اننا نجاهد
لنتذكره فكل ما في جدول الضرب عبارة عن اوليات
مكنوزة ومذخورة في عقولنا منذ الميلاد *

ومن الحروف والارقام يتألف العالم .. وتنبني
القوانين التي تمسك بالنجوم في افلاكها والشموس في
مجراتها ..

فانون عدم المساواة

- الدنيا ليس فيها مساواة •
- لا مساواة في اي شيء •
- كل ورده لها رتبه مختلفه من حيث النسل والرائحة
- والجمال • لا تتساوى وردتان •
- وفي نفس عائلة القطن نجد السكلاريديس •• وجيزة
- ٧ •• وجود فير •• وفولي جود فير •• وطويل التيلة
- وقصير التيلة •• لا يتساوى اخوان في العائلة الواحدة •
- وفي الفاكهة نجد في عائلة واجدة كالبلح مثلا عشرات
- الرتب والدرجات والاصناف •• الزغلول والسماوي
- والحياني والاسيوطي والرشيدي وبلح عيشا •• وكل
- صنف له طعم ونكهة ومذاق •
- وعلماء الحشرات يصنفون لنا من الحشرة الواحدة
- كالتمل اكثر من الف نوع وكل اسرة من اسر النسل
- يقولون لنا ان فيها اكثر من مائة مصنف ومصنف •

وفي الانسان يزداد التفاوت والتفاضل .. فنجد
الذكي والغبي والاحمر والاسود والاصفر والايض
والاشقر والطويل والقصير والسمين والاصلع والكثيف
الشعر .. ونجد من يولد بحنجرة من ذهب ومن يولد
بحنجرة من خشب .. ومن يولد جميلا ومن يولد قبيحا ..

بل ان كل انسان يحمل بصمة اصبع مختلفة .
وكل انسان هو رتبة في ذاته .

كل انسان يتسلم لحظة ميلاده بطاقة تموين واذن
سرف وشيك وثروة من المواهب والتسهيلات خاصة به .
واكثر من هذا يولد كل مولود بعدد من خلايا المخ
محدود غير قابل للتجدد او التكاثر وما يموت من هذه
الخلايا لا يستحدث .. ولكل واحد منا عدد من هذه
الخلايا هي كل ثروته .. وكل واحد يوهب عددا من هذه
الخلايا مختلفا عن الآخر .

ومعنى هذا ان الدنيا كلها تقرم على قانون التفاضل
والتفاوت .. وان عدم المساواة هو القاعدة في كل شيء ..
في النبات والحيوان والانسان والجماد .. حتى الجماد
كل مادة فيه لها بلورتها الخاصة ولها وزنها الذري ووزنها
الجزئي ولها هندستها الخاصة في توزيع الالكترونات
وعددتها .

لا مساواة على الاطلاق .

هكذا اراد خالق الكون لخلائقه •
هو اراد لحكمة يعلمها ان يخلقنا درجات •
ولعله خلق فينا القوي والضعيف ليختبرنا وليظهرنا
على نفوسنا •
هل يأكل القوي الضعيف ام يحنو عليه ويعطف عليه
ويساعده •
هل يدرك القوي ان قوته من الخالق وانها هبة
بأجل وان مصيرها الزوال •• لو ادرك هذا فانه سيكون
المؤمن الذي يوظف قوته لنجدة الضعيف لانه يعلم انه
سيصبح يوما ما اضعف منه •
ام انه سيخيل اليه ان القوة قوته هو والعنفوان
عنفوانه هو ويمضي يضرب باليمين وبالشمال •
لو فعل هذا فهو الملحد المنكر الذي لا يتصور وجودا
لقوة اعلى منه •
والواقع ان الفرق بسيط •• فرق شعرة •• بين ان
تحس بانك قوي •• وبين ان تحس انك وهبت هذه
القوة •• وان قوتك عطية ومنحة •
ولكن هذا الفرق البسيط هو فرق هائل بين عقليتين
وبين سلوكين •• وهو مفرق الطريق بين الايمان والالحاد •
ويبدو ان الدنيا هي الفرصة التي اتاحها الخالق
لمخلوقاته لتختار طريقها بالفعل •• ليظهرنا على نفوسنا ••
ويعرفنا على حقيقتنا •

وهو يعلم من البداية استحقاق كل واحد منا
وقيمة .. ولكن نحن لا نعلم .. ويتصور كل منا انه
الكامل الفاضل الذي يستحق الجنة .. ولهذا اراد بالدنيا
ان تكون المحنة والامتحان الذي يعرف فيه كل واحد نفسه
وقيمة .. حتى اذا انتهت الدنيا وانتهى الزمن .. وأعيد
ترتيب النفوس في درجاتها الحققة .. ونزلت النفوس
منازلها ومراتبها الصحيحة .. علمت كل نفس انه العدل ..
وعلم الاسفل انه الاسفل بالفعل .. وانه لا يثبت في هذه
المنزلة السفلى الى الابد .. ولا ظلم في ذلك .. لان هذا
مكانه .. وهذا هو الجحيم وهو حق .. كما ان الجنة
حق .. وما الجحيم الا الرتبة السفلى وما الجنة الا الرتبة
العليا وهذا هو التفاوت والتفاضل الطبيعي بين اعمال
تفاوت وتفاضل بطبيعتها .

وقانون التفاوت والتفاضل هو قانون الوجود وهو
العدالة بعينها .

وانما الظلم بعينه ان يتساوى غير المتساوين .

وقصارى العدل الارضي هو ان يساوى بين الفرص
والتسهيلات وان يمنح كل فرد حق الدواء والكساء
وفرصة التعلم .. ولكنه لا يستطيع ولا يصح له ان
يساوي بين الناس ذواتهم .

والى ان تنتهي الدنيا سوف يظل هناك الاعلى والادنى •
وفي العالم الآخر سوف يكون هناك الاعلى والادنى •
وكل الفرق ان الارواح في عالم الابد سوف تنزل
منازلها الحقيقية •• بينما في الدنيا يحاول كل انسان ان
يغتصب ما لا يستحق ويحاول ان يعلو على الآخر غدرا
وغيلة •

مغرور جدا

الانسان مغرور جدا ينظر الى نفسه باعتباره مركز الكون ويتصور ان النجوم علقـت كالفوانيس في السماء لتضيء له طريق العودة الى البيت وهو سكران .
واذا كانت في الدنيا بهائم فهي مخلوقة ليركـبها .
واذا كانت للخيول ذيول فليصنع منها المنشآت .
واذا كانت الزهور تعشش على شباكـه فقد فعلت هذا مع سبق العمد والترصد لتقدم له فروض التحية والولاء وتضرب له سـلاما .

ودود الارض منتظر في الطين طول الوقت حتى يلتقطه يديه الكريمتين ويجعل منه طعاما لصيد السمك .
والغزلان الجميلة تسرح في البراري في انتظار رصاص بندقيته المكرمة لتسقط عند قدميه مهللة مكبرة .
والذهب في اعماق المناجم ينتظر بفارغ الصبر اللحظة السعيدة التي يتكـوم فيها في خزائنه او يتبعثر على مائدة قماره .

وابليس نفسه خلق ليكون في خدمته في البارات
والنوادي الليلية والبيوت السرية ..
الكل يعمل من اجله .. هو .. سيد الخلائق ..
الذي خلقه الله على صورته ..

ومن الطبيعي ان يفكر الفلكيون البسطاء في العهد
الغابر بنفس الطريقة فيتصورون ان الكرة الارضية هي
ايضا مركز الكون تدور حولها الشمس ونجوم الفلك
العظيم كله .

ولكن الامر تغير كثيرا حينما انطلق التليسكوب
الحديث يتأمل السماء وبدأ الانسان يبحث عن مكانه
الحقيقي في هذه المتاعاة التي اسماها الدنيا .
ومن هذا اليوم فقد الانسان مركزه وسقط من حلق
وصفحته الحقيقة المرة تلو الحقيقة المرة .

اكتشف ان الشمس ليست من توابع الارض وانما
العكس هو الصحيح والارض هي التي تدور مع تسانية
من توابع أخرى في فلكها ..
ثم اكتشف ان المنظومة الشمسية كلها تدور حول
مجموعة نجمية هائلة وتقطع دورتها الكاملة كل ٢٢٥ مليون
سنة حولها ..

هذه المجموعة النجمية الهائلة هي بقية عائلة الشمس
من النجوم واسمها المجرة وتتألف من حوالي مائة الف

مليون نجم وكثير من هذه النجوم له توابع وكواكب مثل الشمس •

الى هذه الدرجة تضاءلت الارض نسبة الى الكون وتضاءل الانسان من فوقها •• فاصبحت ذرة رمل في متاهه • ولكن الامر تفاقم اكثر واكثر وازداد حال الارض مهانة وحال الانسان ذلا حينما راح يبحث ابعد وابعد في اعماق السماء •

اكتشف ان ما يراه في السماء ليس مجرة واحدة وانما عديد من المجرات مرتبة في عناقيد •• عناقيد من المجرات •

عنقود مجرتنا يحتوي على حوالي ١٧ مجرة وهناك عناقيد تحتوي مئات المجرات ••

ويبلغ عدد المجرات التقريبي في مدى الرؤية الممكنة حوالي مائة الف مليون مجرة •

وفي كل مجرة مائة الف مليون نجم •• ولكل نجم كواكب •

والارض بجلالة قدرها ليست سوى احد هذه الكواكب •• والانسان ليس سوى احد المخلوقات على هذه الارض •

وبهذا فقد الانسان كرامته تماما •

لم تبق له الا كرامة ادراك هذا كله •• والا ان يعترف

في امانه وصدق بمكانه وقدره الحقيقي في فضاء الكون
وقد تضائل الى برغوث واتفه من برغوث .. مجرد حياة
معلقة في ظلمة الساء هو والارض التي يقطن عليها .

والعلم لم يتركه في حاله .

وانما راح العلم يقدم الدليل خلف الدليل على احتمال
وجود الحياة في كواكب اخرى .. بل وفي النجوم ايضا ..
بل وفي كل مكان .

فهناك كواكب ظروف الطقس والجو فيها مشابهة
لظروف الارض .. ثم انه ليس من المحتم ان تكون كل
حياة هي حياة من لحم ودم معتمدة على الاكسجين والماء
ودرجة الحرارة المعتدلة ..

من الممكن ان تكون للحياة صور اخرى تعتمد على
غازات اخرى لتتنفس وتعتمد على درجات حرارة عالية
مناسبة. لتقوم بوظائفها .

ممکن ان توجد مخلوقات اجسامها من الالكترونات
والايونات والحرارة الملائمة لوظائفها هي الحرارة فسي
جوف الشمس ..

لا توجد حدود لتصانيف الحياة الممكنة .

وليس هناك معنى لان نحدد امكانيات الحياة بخيالنا
نحن .. هذا غرور انتهى زمنه .
وهناك علامات تبعث على الشك والريبة . فالنجوم

والدواكب كلها ترسل اشارات لاسلكية وبعض هذه
الاشارات لها نظام خاص .. ومن الممكن ان تكون شفرة
ولغة لا تفهمها .

وعلى المريخ خضرة تنحسر تبعا لفصول اشبه بالربيع
والخريف عندنا .. وفيه طواقي من الثلج تذوب من على
القمم في فصل الصيف .
وفي اعماق السماء وبين النجوم والكواكب التي لا
حصر لها تتباين الظروف في تباديل وتوافيق لا حصر لها
ايضا ويمكن ان تنشأ حيوات من كل جنس ونوع .



وفي الكون الاصغر ما هو اعجب من الكون الاكبر .
في قطعة حديد لا تتجاوز رأس الدبوس حجما عالم
من الذرات كل ذرة اشبه بفلك مصغر نواة تدور حولها
الالكترونات مثل الشمس وكواكبها .. وفيها قوة لو
انطلقت يمكن ان تغرق قارة بأسرها في قاع المحيط .
ثم ان نواة الذرة ليست مجرد نواة بسيطة كما كان
معتقدا .. وانما هي منظومة شديدة التعقد مؤلفة من اكثر
من ٣٢ جسيما مختلفا .

ثم هناك اكثر من نوع من المادة شكرا للعلم الذي
عقد لنا المسائل اكثر فالمادة في نظره لم تعد هي المادة

الواحدة وانما هناك مادة موجبة ومادة سالبة .. مادة عادية
ومادة مضادة *

والمادة المضادة لها قوانين مضادة لكل ما نعرف من
قوانين فاذا كانت تفاحة نيوتن تسقط من على الشجرة على
الارض تبعا لقانون الجاذبية فان التفاحة المصنوعة من المادة
المضادة تطير مبتعدة عن الارض وملقية بنفسها في الفضاء
في لحظة انفصالها من شجرتها وتبعا لقانون الجاذبية
يضا .. لان قصورها الذاتي سالب وليس موجبا ..
الخ .. الخ .. الخ ..

وهكذا يمكن ان تتخيل لنفسك عالما عجيبا من المادة
المضادة يسير فيه كل شيء بالعكس حتى الزمن يسير
لعكس فيتطور الى الماضي بدلا من المستقبل *
والعلم يمكن ان يقودك الى الجنون اذا لم تترفق
بنفسك وتأخذ منه جرعة جرعة حسب طاقتك *



والعلم لا يستبعد احتمال ان تكون الاطباق الطائرة
هي بداية غزو فلكي للارض من العالم الخارجي ..
محاولات اولى استكشافية * وكل شيء اصبح ممكنا بعد
ان سقط الانسان من برجه العاجي وفقد غروره الساذج
الذي كان يتصور فيه انه جالس على عرش الكون *

وغريب ان يظل الغباء مسيطرا بعد كل هذا ويظل
الانسان يتصرف بعقلية ارضية محلية فيقاتل جاره على
قطعة أرض .. وتذبح دول كبرى غنية دولا صغرى فقيرة
لتستعمرها وتحتلها بينما كنوز الكون كله مفتوحة امامها
والعلم مفتاحها السحري في يدها .. وفي امكانها ان تمتلك
المحال وتغزو المجهول وتضع يدها على التراث اللانهائي
للقوة والمعرفة .

ولكن يبدو ان ذلك المغرور بالرغم من كل شيء لم
يفقد غروره بعد وهو اكثر من مغرور .. فهو غبي ايضا
محدود الافق .. جاهل بالرغم من وسائل العلم في يده .
الطاقة الذرية التي اكتشفها سوف يقتل بها نفسه
بدلا من ان يفتح بها الكون ..

ووسائل الدمار سوف يوجهها الى نفسه بدلا من ان
يوجهها الى المرض الوباء والشيخوخة .

واذكر الان كلمة لحكماء اليوجا الهنود .. ان العالم
مبني على العدل ولا ظلم هناك .. وما ينزل بالانسان من
قدر هو بالفعل يستحقه .. وكما يفكر الانسان يكون ..
وكما تضر في نفسك تسير حياتك ..

فهل سوف نثبت بافكارنا وافعالنا نحن المغرورون
الاغبياء اننا لا نستحق الحياة .

وهل نحن ننزل بانفسنا العقاب كل يوم وننفذ بايدينا
ناموس العدالة .

وهل جنسنا الى فناء •
ام ان المنقذ سوف يظهر في اللحظة الاخيرة •
المخلص الذي سوف يسمع الكل كلمته •
ان اجراس العلم تدق الانذارات كل يوم ولا اذن
نسمع •• والمفكرون يدقون على القلوب •• والقلوب
مغلقة •• ربما لان ضائر هؤلاء المفكرين انفسهم يسكنها
نفس الزيف والنفاق والغرور •• وشعاراتهم لا تنفذ الى
القلوب لانها شعارات المرتزقة واكاذيب المنتهزين •
والانسان يتحدث بغرور عن الاغبياء والاذكياء ••
عن البيض والسود •• عن المتقدمين والمتخلفين •• وهو
لا يذري ان الكل سبود والكل اغبياء والكل متخلفون
والفرق بينهم هو فرق في عدد المخالب التي يقتل بها كل
واحد نفسه ويقتل بها اخاه •
العلم ينبت مزيدا من المخالب •
والتقدم ينبت مزيدا من المخالب •
واذا كان العلم يعطي مزيدا وفائضا من القمح فانهم
يلقونه في البحر حتى يزيد سعره •
وهذه هي اخلاق انسان هذا العصر •
متى يفيق هذا الانسان ويعرف نفسه ويعرف الهوة
التي يسير اليها •

مخير ام مسير

يسألني القراء دائما في استغراب ... كيف وصلت الى قرارك الذي تردده في كل كتبك ومقالاتك بان الانسان مخير لا مسير .

كيف يكون الانسان مخيرا وهو محكوم عليه بالميلاد والموت والاسم والاسرة والبيئة ولا حول له ولا قوة ولا اختيار في هذه الاشياء التي تشكل له شخصيته وتصرفاته .

والقراء يقعون في خطأ اولي منذ البداية حينما يقيمون علاقة حتمية بين البيئة والسلوك .. وبين الاسرة وتقاليدها وبين الشخصية ... وهو تفكير خاطيء ... فلا توجد حتمية في الامور الانسانية ... وانما يوجد على الاكثر ... ترجيح ... واحتمال ... وهذا هو الفرق بين الانسان والجماد ... وهذا هو الفرق بين الانسان وبرادة الحديد .

برادة الحديد تطاوع خطوط المجال المغنطيسي في

حتمية وجبرية وتتراص في خطوط المجال حتما حينما نرشها
حول المغنطيس •

اما الانسان فان علاقته بظروفه لا تزيد عن كونها
احتمالا او ترجيحا •

الابن الذي ينشأ في عائلة محافظة محتسل ان ينشأ
محافظة هو الآخر مجرد احتمال ... وكثيرا ما يحدث
العكس فترى هذا الابن وقد انقلب متمردا ثائرا على
التقاليد محطما لها ...

وهذا هو الفرق بين المسائل الآلية الميكانيكية
والمسائل الانسانية ... ونفس الكلام يقال في البيئة ...
البيئة تشكل الانسان ... ولكن الانسان ايضا
يشكل البيئة •

ونظرة سريعة في المجتمع العصري حولنا سوف ترىنا
كيف اخضع الانسان مشاكل الحر والبرد والمسافات بعقله
وعلمه واستطاع ان يسودها فهو يكيف الهواء بالمكيفات
وهو يهزم المسافات بالمواصلات السريعة والبرق والهاتف •
الانسان ليس كتلة هلامية سلبية تشكلها حتميات
البيئة ... ولكنه ارادة صلبة في ذاتها لها حريتها في
توجيه الاحداث •

وهذا هو الانسان الذي ولد طفلا تحكمه اسرته
وبيئته ومقتضيات اسمه وتقاليده ... ها هو ذا يهاجر

وغير اسمه وبيئته واسرته وينتقل الى مجتمع جديد
فيصنع انقلابا في هذا المجتمع الجديد ويغيره من اساسه .
وبها هو ذا يموت فيترك كتابا .. فاذا بالكتاب يغير
التاريخ .

وصحيح ان الانسان قليل الحيلة في الطريقة التي
يولد بها وفي الطريقة التي يموت بها ... ولكنه بين ميلاده
وموته يصنع حضارة ... الله اعطاء القدرة على ان يبني
ويهدم ويحرر ويتحرر ويفكر ويبتكر ويخترع ويفجر
ويعمر ويدمر ... وسلمه مقاليد الخير والشر وحرية
الاختيار .

وحواجز البيئة وضغوط الظروف لا تقوم دليلا على
عدم الحرية بل هي على العكس دليل على وجود هذه
الحرية ... فلا معنى للحرية في عالم بلا عقبات ... وفي
مثل هذا العالم الذي بلا عقبات لا يسمى الانسان حرا
اذ لا توجد لرغباته مقاومات يشعر بحريته من خلال التغلب
عليها .

والحرية لا تعبر عن نفسها الا من خلال العقبات التي
تتغلب عليها .. فهي تكشف عن نفسها بصورة جدلية من
خلال الفعل ومقاومة الفعل .
ولهذا كانت الضغوط والعوائق والعقبات من ادلة
الحرية وليس العكس .

والفيلسوف الغزالي يحل المشكلة بأن يقول ان الله
حر مخير مطلق التخيير والمادة الجامدة مسيرة منتهى التسيير
.. والانسان في منزلة بين المنزلتين ... أي انه مخير
مسير في ذات الوقت ... مخير بمقدار مسير بمقدار .

وتوضيحا لكلامه أقول ان الانسان حر مطلق الحرية
في منطقة ضميره ... في منطقة السريرة والنية ... فانت
تستطيع ان تجبر خادمك على ان يهتف باسمك او يقبل يدك
ولكنك لا تستطيع ان تجبره على ان يحبك ... فمنطقة
الحب والكراهية وهي منطقة السريرة منطقة حرة حررها الله
من كل القيود ورفع عنها الحصار ووضع جنده خارجها ...
لا يدخل الشيطان قلبك الا اذا دعوته انت وفتحت
له الباب .

وقد اراد الله هذه النية حرة لانها مناط المسؤولية
والمحاسبة .

اما منطقة الفعل فهي المنطقة التي يتم فيها التدخل
الالهي عن طريق الظروف والاسباب والملابسات ليجعل الله
امرا ما ميسرا او معسرا حسب نية صاحبه .
« فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى » .

سورة الليل

يمهد الله اسباب الشر للاشرار ... ويمهد اسباب
الخير للاخيار ... ليخرج كل منا ما يكتمه ويفصح عن
سريره ونيته ويتلبس بفعله .

وبهذا لا يكون التفسير الالهي نافيا او مناقضا للتخير
قاله يستدرج الانسان بالاسباب حتى يخرج ما يكتمه
يفصح عن نيته ودخيلته ويتلبس باختياره .

الله بارادته يفصح ارادتنا واختيارنا ويكشفنا امام
انفسنا .

ومن ثم يكون الانسان في كتاب الله مخيرا مسيرا
في ذات الوقت ... دون تناقض ... قاله يريد لنا ويقدر
لنا حتى نكتب على انفسنا ما نريده لانفسنا وما نخفيه في
قلوبنا وما نختاره في اعماق الاعماق دون جبر او اكراه وانما
استدراجا من خلال الاسباب والظروف والملايسات .

وفي امكان الواحد منا ان يبلغ ذروة الحرية بأن
تكون ارادته هي ارادة الله واختياره هو اختيار الله وعمله
هو امر الله وشريعته .. بأن يكون العبد الرباني الذي
حياته هي طاعة الناموس الالهي ... فيعبد الله حبا واختيارا
لا تكليفا ... فيكون الحر الذي يقول عنه الله :

«عبدني اطعني اجعلك ربانيا تقل للشيء كن فيكون» .
انه الحب الذي قال عنه المسيح :

« لو كان في قلبك ذرة ايمان وقلت للجبل انتقل من مكانك لا تتقل من مكانه » •

كما يحدث ان نعطي من ذات نفوسنا لمن نحب كذلك يعطي الله من ذاته لاجابه فيحقق لهم ما يشاءون فيكونون الاحرار خفا مثلما هو الحر حقا •

هل كانت صدفة

يخلو دائما للمفكر المادي ان يقول ان الانسان خلق
صدفة ...

من اخلاط المواد المتخمرة في طين المستنقعات منذ
خمسـة الاف مليون سنة حدث بالصدفة تفاعل ادى الى
نشأة الخلية ... وهو لا يقول لنا كيف حدث هذا
التفاعل ولا كيف حولت الصدفة الطين الى خلية حية ..
وانما هو يقول ان هذا الامر لا بد قد حدث .. وانما لا
يجب ان ندهش فـالخمسـة الاف مليون سنة زمن طويل جدا
.. ولو ان قردا جلس يدق على آلة كاتبة ويلهو بأصابعه
مدى خمسـة الاف مليون سنة من الزمان فانه لا بد سيحدث
بالمصادفة ان يكتب بيتا لشكسبير .

حسنا ... صدقنا وآمنا انه بصدفة فردية لا أحكام
فيها ولا تقدير تحول الطين الى خلية حية ... وماذا بعد ...
ان المفكر المادي يعود فيهرش مخه ليقول انه بصدفة

اخرى تطور الكائن الوحيد الخلية الى كائن متعدد الخلايا .

ثم يعود فيهرش رأسه ليقول انه بخبطة عشوائية ثالثة
تفرع طريق الحياة الى سكتين .. سكة الحياة النباتية التي
اختارت النمو الثابت في الارض .. وسكة الحياة الحيوانية
التي اختارت الحركة وراحت تقتحم البر والبحر والجو
بنسلها المغامر الطموح .

وهو لا يكتفي بهذه الصدفة وانما يعود فيهرش رأسه
ليخلق سلسلة من المصادفات قادت التطور من حيوانات
البحر الرخوية الهلامية الى الحيوانات القشرية الى الاسماك
الى الضفادع الى الزواحف الى الطيور الى الثدييات .

ثم يعود فيهرش قفاه ويخرج بمجموعة مصادفات
اخرى ليحول بها الكلاب الى حمير الى خيول الى زراف
الى نسانيس الى قروود .

وهي مصادفات يخجل مؤلف سينمائي درجة ثالثة
يكتب وهو مخمور فيلما لبنانيا ساقطا ان يكتبها في
روايته .

ولكن المفكر المادي الذي لا يؤمن بالخيال والذي
يعتقد انه حفيد بالصدفة لجد حمار يعود فيخلق سيلا من
المصادفات يحول بها الشمبانزي الى غوريلا والغوريلا الى
انسان .. ثم يفرك يديه ويتنفس الصعداء فقد انتهى من
المشكلة واثبت ان الانسان خلق بالصدفة ويموت بالصدفة .

ولا افهم لماذا لا يتركنا المفكرون الماديون نعيش
اعتباطا وعلى مزاجنا ما دمنا قد جئنا بالصدقة ونموت
بالصدقة وما دامت الحياة من بدئها الى نهايتها خبط عشواء
في خبط عشواء .. وليس بعدها الا التراب ..

لماذا يثيرون هذه الحروب الدموية ويضربون الناس
بعضهم ببعض في معركة مذاهب لا نهاية لها ؟

لماذا هذا العنف والقهر والجبر والسحق ؟

ومن أجل ماذا ولا حق هناك .. انما هي مهزلة من
المصادفات جاءت بنا الى الدنيا بدون حكمة ثم هي تقضي
علينا بدون معنى .. ثم يكون الصمت والتراب والعدم بلا
بعث وبلا حساب .. هكذا يقولون .. وهكذا يعتقدون
.. فلماذا هذا الجنون ولماذا قتل الناس وذبح الناس ..
اذا كانت هكذا عقيدتهم ...

ولن اناقش حكاية الصدف الساذجة فهي لا تحتاج
الى مناقشة ...

ويكفي ان ننظر الى جناح فراش ينسجه والوانه
ونقوشه لنعرف اننا امام فنان مبدع وريشة ملهمة لم تترك
بقعة واحدة ولا خطأ واحدا للصدفة .. وانما هي سمفونية
رائعة من الخطوط والالوان .

بعوضة تافهة تضع بيضها على الماء فنكتشف حينما
ننظر ان كل بيضة لها كيسان للطقو ...

من علم البعوضة قوانين ارشميدس لتصنع هذه
الاكياس الهوائية لتعويم بيضها على الماء ؟

أشجار الصحارى وهي تنثر بذورها.. فاذا لكل بذرة
أجنحة ..

من علم الاشجار قوانين الحمل الهوائي ؟
وكيف ادركت تلك الاشجار التي بلا عقل ان على
بذورها ان تقطع مئات والاف الاميال في الصحارى بحثا
عن ماء فزودتها بهذه الاجنحة .

من علم الكتكوت ان يدق بمنقاره على اضعف مكان
في البيضة ليخرج ؟

من علم الحشرات فنون التكر فراحت تتلون بألوان
بيئاتها لتختفي عن الانظار ؟

من علم النحل قوانين العمارة لتبني هذه البيوت
السداسية الدقيقة الجميلة من الشمع بدون آلات حاسبة
وبدون مسطرة ؟

من يهدي الطيور في رحلة الهجرة السنوية من نصف
الكرة الارضية الى نصفها الاخر بدون بوصلة وبدون رادار
.. عائدة الى أوكارها ؟

ومثلها الاسماك التي تهاجر عبر المحيطات والبحار

لتضع بيضها .
لماذا لا نعترف ببساطة وبدون مكابرة ان هناك خالقا

.. وأنه هو الذي هدى رحلة التطور من الخلية الى الانسان
.. وأنه خلق كل شيء لحكمة وخلق الانسان لهدف !

لماذا لا نعود الى البداهة والقطرة السوية السليمة
الني ترى الابداع في كل شيء من الذرة الى ورق الشجر
الى جناح الفراش الى الشمس والمجرات في السماء ..
فنصل الى النتيجة البسيطة .. ان مثل هذا الابداع ومثل
هذا الخلق لا يمكن ان يكون سدى .. والانسان لا يمكن
ان يخلق عبثا ليموت عبثا .. وانما للقصة بقية .. وللموت
ما بعده ...

أم ان الجد الحمار قد خلف آثاره التي لا علاج لها
في احفاده المفكرين الماديين الذين يقتتلون على الهباء
ويدورون في الخواء .

قطار اللذة

منذ ألف سنة كان أقصى ما يطمح فيه انسان ...
قطعة ارض وبضعة رؤوس من الماشية .. كان هذا هو
الثري إلا مثل في ذلك العصر .. وكان أقصى ما يحلم
به ذلك الثري هي عربة مطهمة يجرها حصان ليدخل بها
مجتمع الوجهاء واهل الشياكة .

واليوم نقول عن من يملك العربة والحصان انه
عربي وهو في اعتبارنا من الناس الدون .

اما اهل الشياكة والوجاهة فقد استبدلوا الارض
بالعمارات .. ثم استبدلوا العمارات بالشركات .. ثم
استبدلوا الشركات بمجرد دفتر سندات أو دفتر شيكات
بحجم الجيب ... مجرد رأس مال يتوالد من تلقاء ذاته
بالاسهام في أي مشروع .

واتهى اسطبل المواشي ليحل محله كراج عربات
مرسيدس .

ثم انتهى امر الكراج وتركه الاغنياء للسوقة والناس
الدون وصار الواحد منهم يمتلك طائرة خاصة أو
مرسى لليخوت أو باخرة .

وغدا تصبح الطائرات من املاك الفقراء ويظهر الاغنياء
الوجهاء الذين يملكون الصواريخ والسفن الفضائية
والاقمار الصناعية وتصبح رحلة الويك اند عشاء ساهرا في
المريخ .

الزمن استدار وانتقل الناس من حال الى حال بسرعة
غريبة واحلام زمان اصبحت الان متاحة للكل .
والفلقل والجهان الذي كانت تحمله السفن من الهند
عبر رأس الرجاء الصالح في رحلات مهلكة مخوفة بالاعطال
ليوزن بالذهب ويوضع في الخزائن مع المجوهرات ولا يظهر
الا على موائد اصحاب الملايين . . ومثله مناديل الحرير
الهندي التي كنا نقرأ عنها في بيوت اللوردات في روايات
زولا وبلزاك .

كل هذا نزل ليصبح في متناول السوقة .
والفلقل والجهان الان عطاره الفقراء .
والحرير طرده النيلون والداكرون والتريلين مسن
السوق فهبط الى نصف ليرة للمنديل واصبح زينة متاحة
للخدم وعاملات المحلات . أي انسان من مستويات الدخل
البسيطة يستطيع الان ان يحصل على كثير من وسائل الترف
التي كانت تحلم بها جدتي وجدي ويسيل لها اللعاب .

ومع ذلك فالبؤس موجود والتعاسة ما زالت هي
القاعدة والشكوى مستمرة على جميع المستويات ...
تشهد بذلك اعمدة الصحف والاغاني والكتب واخبار
الاذاعات ووجوه الناس المربدة المتجهمه في الشارع
ومشاكساتهم الدائمة وصدورهم الضيقة بكل شيء .
لا شيء مما تصور الانسان انه سوف يسعده قد
أسعده وهو ما كاد يمتلك ما كان يحلم به حتى زهد فيه
وطلب غيره .. وهو دائما متطلع الى ما في أيدي الآخرين
غافل تماما عما في يده .. ينسى زوجته ويرغب في زوجة
جاره وزوجته احلى واجمل .. ولكنها الرغبة التي لا تشبع
والتي يتجدد فهمها دائما وتتفتح شهيتها على كل ممنوع
ومجهول .

ولهذا أقام بوذا دياتته على قتل الرغبة والخلاص منها
باعتبارها سبب الشقاء ولا خلاص من الشقاء الا بالخلاص
من الرغبة وقتلها والوصول الى حالة من السكينة الداخلية
الزاهدة في كل شيء العازفة عن جميع الرغبات .

والله يكشف لنا الحقيقة بشكل اعظم في القرآن
فيقول انه خلق الدنيا ولها هذه الطبيعة والخاصية فهي
« متاع » .

« انما هذه الحياة الدنيا متاع » .

و « المتاع » هو اللذة المستهلكة التي تنفذ .. من

خصائص الدنيا كما ارادها خالقها ان جميع لذاتها مستهلكة
تنفذ وتموت لحظة ميلادها •

في كل لذة جرثومة فنائها ••
الملل والضجر والعادة ما تلبث ان تقتلها ••

هي الطبيعة التي ارادها الله للدنيا لانه ارادها دار
انتقال لا دار قرار •• ولهذا جعل كل لذة بلا قرار ولا
استقرار •• لانه لم يرد لهذه اللذات ان تكون لذات حقيقية
وانما ارادها مجرد امتحان لمعادن النفوس •• مجرد اثاره
تختبر بها الشهامة والنبيل والعفة وصدق الصادقين واخلاص
المخلصين •

والذي يدرك هذا سوف يستريح تماما ويكف عن
هذه الهستيريا التي تخرجه من شهوة لتلقي به في شهوة
وتقوده من رغبة لتلقي به في اتون رغبة وتجره من جنون
لترمي به في جنون •

سوف يريح ويستريح ويحاول ان يروض نفسه
ويستصفي روحه ويطهر قلبه ويعمل للعالم الاخر الذي وعد
به الله جميع ابنائه بأنه سيكون العالم الذي تكون فيه
اللذة حقيقية •• والالم حقيقيا •

وهو لن يندم على ما سوف يفوته من لذات هذه
الدنيا لانه علم تماما وبالتجربة والممارسة انها لذات خادعة
تتفلت من الاصابع كالسراب •• وهو قد قرأ التاريخ وعرف

ان مال قارون لا يزيد الان بالحساب الحالي عن مائتين من
الجنيهات بالعملة النحاسية .. هكذا قدرت جميع خزائنه
بالاسترليني .. وما اكثر من يملك المائتي جنيه الان من
سكان بيروت ويشكو الفقر ويلعن اليوم الذي ولد فيه ..
مع انه بحساب التاريخ اغنى من قارون .
انها الخدعة الازلية ..

تحلم بامتلاك الارض فاذا بالارض هي التي تمتلكك
وهي التي تكرسك لخدمتها ...
تتصور ان المال سوف يحرك من الحاجة فاذا بالمال
يفتح لك ابواب مطالب اكثر وبالتالي يلقي بك في احتياج
اكثر .. وكلما احرزت مليوناً احتجت الى ثلاثة ملايين
لحراسة هذا المليون وضمانه ...

وتدور الحلقة المفرغة ولا نهاية ..
وهذه طبيعة عالمنا الكذاب الذي نمتحن فيه .
كلنا نعلم هذا .. ومع ذلك لا نتعلم ابدا .

راعي شرح الملك

من اطرف ما في كتاب الدكتور بول غالونجي عن
طب الفراعنة هذه الفقرة عن الطبيب «خوي» ..

وقد وجد اسمه مدونا على جدران معابد سقارة
وامامه هذه الالقاب : طبيب القصر الملكي ، عميد اطباء
القصر الملكي .. المسيطر على سم العقرب .. المبجل لدى
اله الطب .. المقرب لدى أنوبيس : كبير اطباء الوجهين
البحري والقبلي .. راعي الشرج .

كان الطبيب خوي هو راعي شرح الملك تيتي وهذا
يعني ان البواسير والناصور مشكلة قديمة قدم التاريخ
وانها كانت من امراض الملوك وانها كانت من الاهمية لدرجة
ان يلقب كبار الاطباء بأن الواحد منهم راعي شرح الملك .
لم أكن وحدي اذن الذي أصرخ من آلام البواسير
فقبل ذلك بثلاثة الاف سنة كان هناك فرعون عظيم يصرخ
مثلي من البواسير اسمه تيتي .

- والسماء فوقى حمراء كنهاس منصهر •
- والزبانية لا يرحمون •
- والعذاب سوف يكون بطول الابد •
- وفي الحلم نسيت تماما انها جراحة ••

وكان هذا بتأثير المورفين الذي صور لسي من الالم المؤقت دراما لا نهائية من العذاب •

- وكانت أسعد مفاجأة ان يطلع علي الصبح ويتبخر
- ضباب المورفين واكتشف اني أتألم من جراح سوف تشفى •
- وحمدت الاله الرحيم •
- ما اجمل ان يهبنا الله الزمن الذي لا يدوم فيه شيء ••
- كل شيء يمضي ثم يصبح ذكرى •
- أشد الآلام تتحول الى مقالة طريفة تروى واحاديث
- حول فنجان شاي •

أليست حياتنا معجزة •

وأليست معجزة اكبر ان تشفى وتلتئم جراح مفتوحة في مجرى الشرح تتلوث كل لحظة بما يلفظه الجسم مسن فضلات •• تشفى وتلتئم تلقائيا بدون بنسلين وبدون صبغة يود •• بالقدرة الالهية التي وضعها الخالق في الانسجة • ومن عجب ان الله حشد كل جنده عند مدخل الجسم وعند مخرجه •• عند النهم والحلق واللوزتين تشفى الجراح المفتوحة وتلتئم وهي في مجرى اللعاب الملوث والاتفاس

- والسماء فوقى حمراء كنهاس منصهر •
- والزبانية لا يرحمون •
- والعذاب سوف يكون بطول الابد •
- وفي الحلم نسيت تماما انها جراحة ••

وكان هذا بتأثير المورفين الذي صور لسي من الالم المؤقت دراما لا نهائية من العذاب •

وكانت أسعد مفاجأة ان يطلع علي الصبح ويتبخر ضباب المورفين واكتشف اني أتألم من جراح سوف تشفى •
• وحمدت الاله الرحيم •

ما اجمل ان يهبنا الله الزمن الذي لا يدوم فيه شيء •
كل شيء يمضي ثم يصبح ذكرى •
أشد الآلام تتحول الى مقالة طريفة تروى واحاديث
حول فنجان شاي •

• أليست حياتنا معجزة •

وأليست معجزة اكبر ان تشفى وتلتئم جراح مفتوحة
في مجرى الشرح تتلوث كل لحظة بما يلفظه الجسم مسن
فضلات •• تشفى وتلتئم تلقائيا بدون بنسلين وبدون صبغة
يود •• بالقدرة الالهية التي وضعها الخالق في الانسجة •
ومن عجب ان الله حشد كل جنده عند مدخل الجسم
وعند مخرجه •• عند النهم والحلق واللوزتين تشفى الجراح
المفتوحة وتلتئم وهي في مجرى اللعاب الملوث والاتفاس

المحملة بالاتربة والجراثيم .. وتقطع اللوزتان فيلتئم مكانهما
بلمسة ساحر .

وعند الشرح حيث تخرج الفضلات تموج بالميكروبات
القتالة تلتئم الجراح المفتوحة بقدرة القادر الذي سلحنا
بأمضى اسلحته .

ولعل هذا هو السبب في الآلام حول منطقة الشرح
حيث وضع الخالق اقوى شبكة من الاعصاب ونشر قنوات
وانهارا من الدم والليمف ورصد الملايين من الكرات البيض
والخلايا الحارسة التي تلتهم كل ميكروب وافد فلا تبقى
عليه .

وبعد هذا يشك شك في العناية والرحمة .
ويقول مفكر سطحي مثل سارتر اننا قد القي بنا في العالم
بدون عون وقذفنا الى الوجود لنترك بلا عناية وبلا رعاية .
ولو ان سارتر تعلم الطب كما تعلم الادب ودرس
الانسان كما درس الوجود لعرف: حقيقة نفسه ولقال كلاما
آخر .

ولهذا تخطر لي احيانا فكرة الحاق كلية الاداب بكلية
الطب .. فالانسان والوجود حقيقة واحدة . ولا يمكن
ادراك الواحد دون ادراك الآخر . وملامح الروح مكتوبة
على الخلايا وليست في كتب ارسطو .
وشفرة العناية الالهية مكتوبة على اوراق الشجر وعلى
مناقير الحمام وبتلات الورد ..

الدودة التي يجعلها الله خضراء بلون الغصن الاخضر
ليجعلها أقدر على الاختفاء عن عدوها .. والفراشة الملونة
بلون الورد .. والسلحفاء الصفراء بلون الصحراء .

بشرة الزنجي التي تتلون في الشمس الاستوائية
فتصبح سوداء كمظلة منصوبة عليه طول الوقت لتقيه لفتح
الشمس .

والبشرة البيضاء البلورية الشفافة لاهل الشمال حيث
تختفي الشمس طول الوقت خلف الضباب وحيث يشح
الضوء لدرجة تجعل الجسد في حاجة الى امتصاصه عن أي
طريق مثل تلك البشرة الشفافة الزجاجية .

أجسام الحيتان التي صاغتها العناية تلك الصياغات
الانسيابية كخواصات .. وكل سمكة وقد منحتها الطبيعة
كيسا يفرغ ويمتلئ بالهواء لتطفو وتغوص كما تريد .
أفواه الحشرات وقد شكلتها العناية على الف صورة
وصورة حسب وظائفها .. الحشرة التي تمتص كالذبابة
تشكل فيها على صورة خرطوم . والحشرة التي تلدغ
كالبعوضة تشكل فيها على صورة ابرة . والحشرة التي
تقرض كالصرصور زودتها الطبيعة بمناشير ومبارد ..
والدودة التي تتطفل على الامعاء زودتها الطبيعة
بخطاطيف وكلابات حتى لا تقع في تجويف الامعاء وتجرفها
الفضلات .

وكلما تكاثر الاعداء على مخلوق اكثر الخالق من
نسله فدودة الاسكارس تبيض اكثر من مليون بيضة في
الشهر وتنجب اكثر من مليون دودة •

وفي متاهات الصحارى حيث يشح الماء وتندر العيون
خلق الله للاشجار بذورا مجنحة لتطير مع الرياح في الجهات
الاربعة وتحط في الف شبر وشبر من الارض وترحل
مسافات شاسعة وكأنها بعثات استكشاف تذرع الصحارى •
والخفاش الاعشى والذي لا يطير الا في الليل زودته
الطبيعة بأمواج الرادار يستكشف بها طريقه •

والكتكوت الوليد ترشده الغريزة الى أضعف مكان
في البيضة فينقرها ليخرج الى الوجود •
والزنبور يعرف مكان المراكز العصبية عند فريسته
فيحقنها بالسم ويشلها وكأنه جراح ماهر درس التشريح •
والنسل الذي قاده فطرته الى اكتشاف الزراعة
وتخزين المحصولات قبل ان يكتشفها الانسان بملايين
السنين •

وحشرة الترميت التي عرفت تكييف الهواء في بيوتها
قبل ان يعرف الانسان الابواب والشبابيك •
ان كل خطوة تخطوها في الطبيعة حولك تجد فيها
أثر الرحمة والعناية والرعاية •
لم يقذف بنا الى الدنيا لنعاني بلا معين كما يقول
سارتر •

ان كل ذرة في الكون تشير بأصبعها الى رحمة
الرحيم •

حتى الالم لم يخلقه الله لنا عبثا •• وانما هو مؤشر
وبوصلة تشير الى مكان الداء وتلفت النظر اليه •

ألم الجسد يضع يدك على موضع المرض ••
وألم النفس يدفعك الى البحث في نفسك •

وألم الروح يلهمك ويفتح آفاقك الى ادراك شامل
فالدنيا ليست كل شيء ولا يمكن ان تكون كل شيء
وفيها كل هذه الآلام والمظالم • وانما لا بد وان يكون
وراءها عالم آخر سماوي ترد فيه الحقوق الى أصحابها
ويجد كل ظالم عقابه •

وبالالم ومغالته والصبر عليه ومجاهدته تنمو
الشخصية وتزداد الارادة صلابة واصرارا ويصبح الانسان
شيئا آخر غير الحيوان وغير النبات •

ما أكثر ما تعلمت على سرير المستشفى •
وشكرا لأيام المرض وآلامه •

السهم والترياق

لكل شيء آفة من جنسه
حتى الحديد سطا عليه المبرد
الله خلق لكل شيء آفته التي تعتدي عليه ...
خلق القطن وخلق دودة القطن
خلق النبات وخلق الجراد
خلق الاسنان وخلق السوس
خلق العين وخلق الرمذ
خلق الالف وخلق الزكام
خلق الثمرة وخلق العفن

خلق الانسان وخلق معه جيشا من الاعداء لاغتياله
من قمل وبق وبراغيث وبعوض وديدان وبلهارسيا وميكروبات
وسل وجذام وتيفود وتيفوس وكوليرا وقراع وصديد •
وخلق الحياة وخلق الحر والبرد والصقيع ورياح
السموم •

لم يرد بالدنيا ان تكون دار سلام ... وانما دار حرب
وصراع وبلاء وشدة وجذب وكر وفر .

لانه علم بحكمته ان حياتنا الدنيوية اذا اخلدت الى
الراحة والامن والدعة والسلام ترهلت وتخنثت وضعفت
وانقرضت .

وعالم الفسيولوجيا يقول لك ان سم الميكروب يخفز
النسيج الى الاحتشاد ... كما تدفع لسعة البرد الدم الى
الشرايين .

ان العدوان المستمر الذي جعلته الطبيعة شريعتها في
الارض اراده الله لمخلوقاته تحديا مستمرا ... ليشغذ كل
مخلوق وسائله ويبدع ويبتكر ويحتشد ويخرج احسن ما
يختزن من طاقات ويكون دائما على اكمل الصور الممكنة .
وبدون هذا التناقض والصراع والجلاد كان مصير
الحياة الى ضور وتخاذل وتكاسل ثم انقراض
تدريجي ...

وهذا ما نشاهده في الافراد والامم حينما تخلد الى
الراحة والترف ويطول بها حبل الامن والسلام والدعة .
وكما خلق لنا الله المرض خلق لنا الدواء في عشب
ينمو تحت اقدامنا ... وفي شراب في الينابيع التي تتفجر
حولنا في كل مكان ... وفي العناصر الكثيرة تحت الارض
وفوقها ... وأمدنا بالعقل الذي يبحث وينقب .

وللحكمة ذاتها القى الله وسط الدول العربية المتخاذلة
المترهلة بعدو شرس هو اسرائيل ... ويمكن لهذا الجسم
الغريب ليكون حافزا الى اليقظة والاحتشاد .

اسرائيل هي الميكروب .

هي التحدي القائم في الجسم العربي ليثبت حيويته
ويُسحذ دلائقاته ويهب من نومه الطويل وينتفض من تخلفه .
وبرغم كل ظواهر اليأس فأنا متفائل شديد الثقة
بالمستقبل .

فالسفن الكونية والقوانين الالهية تعمل عملها في
الكيان العربي .

وما نعيش فيه من كارثة أراها على العكس مظهرا من
مظاهر التمازج الازلي التصحيح الاشياء ... فبهذا التحدي
المستمر وبهذا الخنجر المسموم المغروس في أحشائنا سوف
نختشد في جسم موحد طال بنا الزمن أو قصر ... لنواجه
محنة ان نكون أو لا نكون ... وما نعيش فيه الان هي
أيام الحمى التي تسبق الشفاء .

ان خلافتنا الداخلية وانقساماتنا الداخلية اشبه
بالصدید الذي يتخلف في الجراح من جراء التهاب النسيج
بالسم الميكروبي والاجسام المضادة التي يفرزها ...
وهي مرحلة يليها تدفق الدم من النسيج المحتقن
ليغسل كل شيء ثم يعقب ذلك الالتئام والشفاء .

وهي اشياء تتعلمها مما يجري على النسيج الحي حين
يعدو عليه الاعداء •

وهي قوانين ازلية وضعها الله للخلية والجسم الحي
والامة والامبراطورية ... ولا يستطيع ان يشذ عنها
مخلوق •

ان الذي يجعل من واقعنا الحالي سببا لليأس لا يفهم
الدنيا ولا يفهم التاريخ •

لقد تقاتلت الامة الاميركية قبل ان تتوحد في حرب
شرسة بين شمالها وجنوبها ... وكذلك الصين ... فلم
يقل أحد انها انتهت او انها كتبت وثيقة فنائها ... بل
العكس هو ما حدث ... فقد كتبت بهذا الدم
ميلادها ...

وفي الحساب الازلي للارباح والخسائر ... وفي
سجل التاريخ ... لا تضيع نقطة دم واحدة ... ولا تهدر
ضحية ... وانما لكل شيء دوره في صياغة النصر
النهائي •

والنصر دائما للحق والخير •

الرد على التساؤلات

تصليني احيانا من القراء تعليقات بحادة وتساؤلات حول مقالاتي الاخيرة ... والبعض يلتقط عبارات من كتب قديمة صدرت لي منذ عشرين عاما محاولا ان يشهد الناس ... كيف كنت ملحدا ثم اصبحت مؤمنا ... يا له من تناقض وجريمة لا تغتفر لمفكر ...

ويبدو ان المفكر الامثل عندهم هو قطعة رخام لا تنتقل من مكانها او مستنقع أسن لا يتجدد مأؤه او حياة خاملة راكدة آلية لا تتطور ...

ويتصور الواحد منهم الفضيلة والذمة في ان يكتشف الكاتب خطأ فلا يصححه ولا يرجع عنه .

ويتصور الكمال في العجرفة الفكرية والجمود والتعصب والثبات ولو على الخطأ (ظالما ان هذا الخطأ في صالحهم) .

ولو كنت مؤمنا تحولت الى الالحاد لاخذوني بالاحضان ولقالوا هذا هو المفكر الشريف بحق ... هذا هو رائد النقد الذاتي .

ولكن لما كان نقدنا لذواتنا على غير هواهم اصابهم

عنى الااوان فرأوا الابيض اسود ورأوا الفضيلة رذيلة
والذمة خيانة •

ولقد حارب خالد بن الوليد ضد الاسلام بشراسة
وانزل الهزيمة بالمسلمين في أحد ••• نم آمن وحمل لواء
الدعوة واصبح سيف الله المسلول فلم يقل احد انه رجل
متناقض بلا مبدأ •

وحارب عمر بن الخطاب الدعوة الاسلامية في بدايتها
بضراوة ثم اعتنق نفس الدين الذي سبه وسفحه وحاربه •••
فلم يشكك احد في ايمانه ولا في صدقه ولا في ذمته •
والانسان في شبابه مندفع بطبيعته يؤمن بالساذج
البسيط الواضح الملموس امامه ولهذا فهو يستريح الى
المادية والفكر المادي لانها لا تطالبه بشيء غير الموجود
امامه فهي تبدأ من القريب المحسوس ولا تتجاوز له ولا تجهد
الذهن استخلاصا للحكمة من ورائه ••• بل انها لا تعتقد
في وجود حكمه ••• لا شيء سوى المادة التي تتطور
تلقائيا بقوانينها الجدلية الخاصة •

والمفكر المادي لا يحاول حتى ان يسأل نفسه من
الذي وضع في المادة قوانينها الجدلية هذه •
وهو يرفض الدين لانه غيبات •

وهو نفسه غارق في الغيبات الى اذنيه
بل ان العلم نفسه الذي يتشدد به ويحتكم اليه غرق
في الغيبات هو الآخر •

العلم يتكلم عن الالكترون على انه حقيقة ... ولم
ير احد الالكترون ... ولا نعلم عن الالكترون الا آثاره
... اما الالكترون ذاته فهو غيب .

وبالمثل الموجه اللاسلكية لا نعلم عنها الا آثارها في
عمود الارسال وجهاز الاستقبال ... لم ير احد تلك الموجه
الاثيرية ولم يعرف احد كنهها .

بل الكهرباء ذاتها هي الاخرى طاقة لا شك فيها ومع
ذلك فهي مجهولة الهوية تماما ... ولا نعرف عنها الا
مجنوعة آثارها الظاهرة من حرارة الى ضوء الى حركة
مغناطيسية .

فاذا قلنا لهم ان الله بالمثل عرفناه بآثاره وان هويته
غيب لم يعجبهم كلامنا .

بل ان المفكر المادي يقول في جرأة عجيبة ... « في
البدء كانت المادة ثم تطورت المادة الى كافة صور الحياة
والفكر » وكأنه كان موجودا لحظة بداية الخلق متربعا في
كرسي بلكون يتفرج على ميلاد الدنيا .

هو يتكلم عن غيب ويبدأ من غيب ... ولا يملك الا
افتراضات واحتمالات ونظريات ... ثم يتهمنا نحن بالغيبية .
وهؤلاء هم دراويش المادية لا وسيلة لاقتناعهم لانهم
لا يريدون اقتناعا ... وانما هم اختاروا الجمود العقائدي
وتشنجوا عليه واستراحوا الى ما فيه من تبسيط مخل
وتلخيص ساذج للحقائق الكونية ...

وليس ابعث للراحة من اعتقاد الانسان انه لا مسؤولية
هناك ولا بعث ولا حساب وان له ان يفعل ما يشاء لا رقيب
عليه ولا حسيب سوى البوليس والمخابرات •
ومثل هذه العقيدة المادية اقرب الى قلب الشباب
المندفع الذي يريد ان ينطلق على هواه بلا علامات مرور
وبلا ضوابط وبلا مساءلة •

وليس صحيحا ان الفكر المادي هو الذي اعطانا حياتنا
المتقدمة بما فيها من قطارات وعربات وطائرات وصواريخ
وراديو وتلفزيون ••• فهذه الاشياء هي عطاء العلم •••
والعلم تراث متاح لكل ••• ولا مذهب له ••• يطلبه رجل
الدين كما يطلبه رجل الفكر من يمين ويسار •
كان العلم يرفع راياته في مصر الفرعونية الوثنية
كما كان يرفع راياته في صدر الاسلام •
العلم تراث بشري لا يستطيع ان يدعي أحد ملكيته
وليس صحيحا ان الدين يناقض العلم •
وديننا يأمر بالعلم في أول آية من القرآن «اقرأ» •
امر صريح بالعلم والتعلم في أول حرف نزلت به
تعاليمنا السماوية •

والعلماء عندنا هم ورثة الانبياء وهم في القرآن في
درجة الملائكة «شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو
العلم» • والذي يتصور تناقضا بين الدين والعلم لا يعرف
ما الدين ولا ما العلم ••• وانما هو يريد ان يخلق لنفسه
مبررا للرفض • وما اسهل الرفض •

انذار

اربطوا الاحزمة على المقاعد

هذه العبارة التي تظهر بالنور الاحمر في كل طائرة كلما بدأت في الهبوط او الارتفاع منذرة بأن تغييرا خطيرا يقع .. اشعر الان بأن مثل هذه العبارة تظهر في عربة الحضارة التي نركبها جميعا نحن الجنس البشري في هذه الزمان منذرة بالهبوط الى مرحلة اسفل ..

اسمع هذا النذير .. بأننا يجب ان نربط الاحزمة على المقاعد .. ليس لاننا نرتفع .. وانما لاننا نهبط .. ونهبط .. وتندهور ..

المذابح في فيتنام .. القتل الجماعي في نيجيريا .. احراق اللاجئين في الاردن .. تفجير القنابل الهيدروجينية تحت الارض وتحت البحر .. واطلاق صواريخ مدارية نحصل الموت في أحزمة حول الارض .. في الشرق والغرب يخرج الوحش البشري مخالفه

ويلوح بأنياه .. لم يعد يستحي ولم يعد يخجل .. لم
يعد يلجأ الى اسلوب الدبلوماسية المذهب الذي يتكلم
باسم الحرية والديمقراطية وتحرير الشعوب من الاستغلال
والاستعباد .. لم يعد يرفع راية السلام ويردد الشعارات
النظرية البراقة وينسوق المنطق الفلسفي المحكم .. واسا
تشف النقاب فجأة عن حقيقته .. فاذا بنا امام دول كبرى
تريد ان تسود .. وقوى تتصارع على السلطة لا غير ..
المعسكر الشيوعي خرج منه علاقات يبادلان بعضها
العداوة اكثر مما يبادلان عدوها المشترك الرأسمالية ..
مناقضين بذلك منطق الشيوعية ذاتها وكأنه مجرد حبر
على ورق .. لم يعد التاريخ يحركه صراع الطبقات فها هنا
مسكران هائلان .. بروليتاريا .. وبروليتاريا وكلاهما
يتصارعان ..

والرأسمالية بدورها بدأت تدارس علنا ابشع جريسة
في التاريخ على أرض فيتنام .
والاساطيل راحت تذرع البحار تستعرض عضلاتها .
والطائرات انطلقت تزمجر في الجو وتتنافس فسي
بث الرعب .

والاقمار الصناعية راحت تتسابق في التجسس .
والصواريخ .. كل صاروخ يقول للآخر .. أنا اطول
منك مدى .

القوة .. القوة .. القوة ..

الحضارة المادية اتهمت الى تسخير العلم لصناعة
القوة .. لابتكار وسائل الموت .. المجاعة ونقص التغذية
والفاقة تفترس قارات .. والملايين والبلايين ترصد للسلاح
.. وفائض القمح يلقي في البحر ليرتفع سعره ..

لقد افلست الحضارة المادية ..

وأني اعلن افلاسها .. وأشعر بأن عربة الحضارة
نهبط بنا الى اسفل واسفل واسفل ..
وان علينا ان نربط الاحزمة على المقاعد استعدادا
للخطر المالحق ..

وعلينا ان نواجه انفسنا بالحقيقة ونكف عن ترويع
الاكاذيب ونكف عن التشديق بحريات لا وجود لها ..
فقد عادت عصور المرتزقة والانكشارية ..
وهناك الوف يقبضون مرتباتهم لانهم يقتلون تحت
أي راية ..

والجاسوسية تحولت الى فن .. « كيف تكون
جاسوسا مزدوجا » تتجسس لامتك وضدها وتعمل بدمتين
ولحساب من يدفع اكثر ..
والمذاهب تحولت الى ذرائع للسلطة والاستهلاك
الصحفي وتبرير تحكم الاقوياء في الضعفاء وظلم الاقوياء
للضعفاء واستبداد الاقوياء بالضعفاء ..
وهذا اعلان افلاس حقيقي ..

لقد عجزت الفلسفة المادية ان تصنع انسانا وان كانت
قد صنعت قنبلة ونحن ماضون الى سقوط محقق ان لم
نبادر الى تغيير دفة المركبة الحضارية كلها في اتجاه آخر •
هذه المرة ليس نحو فلسفة مادية •• ولكن نحو فلسفة
تغترف للانسان بروح وذات خلقها الله حرة جديرة بالخلود •
العودة الى فلسفة روحية تأخذ من العلم كل ما يعطيه
وتضيف عليه من خصبها •

ومن أين تخرج مثل هذه الفلسفة الا من الشرق !!
فهل يعود الالهام فينبع مرة اخرى •• وهل تشرق
شمس جديدة •• ام انا نهبط الى هوة النهاية ؟•

فهرست

٥	هل يسير العالم الى دعاة
١٢	الشيء التافه
١٧	الجنون العام
٢٠	افيون هذا الزمان
٢٥	الوقوع في الفخ
٣٠	أحبوا انفسكم
٣٥	٤١٨ نعشا
٣٩	طالع الشجرة في لندن
٤٤	ماذا الملل
٤٩	الرقص للرقص
٥٣	التقدم الى الخلف
٥٨	من اين تنبع السعادة
٦١	يد الله
٦٥	بيروت ذات الستائة الف وجه
٦٩	السلطان الحقيقي
٧٣	لفظ الرقم ٧
٧٦	فرويد الرجل المريض
٨٤	حينما تعجز الكلمات
٨٨	العيال الذين ظنوا انفسهم كبارا
٩١	عالم الغيب
٩٥	الذي شفق نفسه بملك الكهرباء
٩٩	حينما يصبح للمرأة ذيل
١٠٣	بيت النمل

١٠٦	كيف تكسب الف جنيه فوراً
١١٣	التدليك العاطفي .
١١٧	أنت امبراطور
١٢١	الواقع الكذاب
١٢٥	الجمع والطرح
١٢٩	بعض التواضع
١٣٣	يوجا .
١٣٩	أسرار الحروف
١٤٣	قانون عدم المساواة
١٤٨	مفرور جداً
١٥٦	مخير أم مسير
١٦٢	هل كانت صدفة
١٦٧	قطار اللذة
١٧٢	راعي شرح الملك
١٧٩	السمم والترياق
١٨٣	الرد على التساؤلات
١٨٧	انذار

To: www.al-mostafa.com